A-PDF Merger DEMO : Purchase from www.A-PDF.com to remove the watermark

مذكرات
حاملة دعوة

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ

٢٣٠

الوعـــــي

العدد ٢٣٠ ـ السنة العشرون ـ ربيع الأول ١٤٢٧هـ ـ نيسان ٢٠٠٦م

الخلافة:
تحدي الإسلام للنظام العالمي

الآثار الدنيوية
للحكم بما أنزل الله (١)
الاستخلاف
والتمكين

أيّـها المسلمون:
إحداث الفتنة مخطط أمريكي للبقاء في العراق

الأعمال الفكرية والأعمال المادية في سيرة الرسول ﷺ

الإساءة للرسول ﷺ
بين طاغوت الأمم المتحدة
وأكذوبة صراع الحضارات

• هذا ربيع المولد (قصيدة)

AL-WAIE

الوعي

السنة العشرون – ٢٣٠

جامعية – فكرية – ثقافية

تصدر غرة كل شهر قمري عن ثلة من الشباب الجامعي المسلم في لبنان
بترخيص رقم «١٦٦» صادر عن وزارة الإعلام اللبنانية بتاريخ ١٩٨٩/١١/١٥

المراسلات

ألمانيا
N. Abdallah
Postfach: ٣٠١٥١٣
D – ١٠٧٤٩ Berlin
Germany

ثمن النسخة

لبنان	:	١٠٠٠ ل.ل.
ألمانيا	:	١ يورو
أميركا	:	٢,٥٠ دولار أميركي
كندا	:	٢,٥٠ دولار كندي
أستراليا	:	٢,٥٠ دولار أسترالي
بريطانيا	:	١ جنيه إسترليني
السويد	:	١٥ كورون سويدي
الدانمرك	:	١٥ كورون دانمركي
بلجيكا	:	١ يورو
سويسرا	:	٢ فرنك سويسري
النمسا	:	١ يورو
باكستان	:	دولار أميركي
تركيا	:	دولار أميركي
اليمن	:	٤٠ ريالاً

إقرأ في هذا العدد (٢٣٠)

■ كلمة «الوعي»: أيها المسلمون:
إحداث الفتنة مخطط أمريكي للبقاء في العراق ٣
■ رياض الجنة: أخلاق رسول الله ﷺ في الدعوة (٨)
دعوته ﷺ الحكم بن كيسان وخالد بن سعيد بن
العاص إلى الإسلام ٦
■ الخلافة: تحدي الإسلام للنظام العالمي ٧
■ الإساءة للرسول ﷺ
بين طاغوت الأمم المتحدة وأكذوبة صراع الحضارات! . ١٥
■ بين التطرف والإرهاب ١٩
■ أخبار المسلمين في العالم ٢١
■ الأعمال الفكرية والأعمال المادية في سيرة الرسول ﷺ ٢٩
■ مفهوم التسامح بين الإسلام والغرب (٢) ٣٥
■ مذكرات حاملة دعوة ٤٤
■ مع القرآن الكريم: الآثار الدنيوية للحكم بما أنزل الله (١)
الاستخلاف والتمكين ٤٨
■ هذا ربيع المولد (قصيدة) ٥٠
■ كلمة أخيرة: موانئ دبي نموذجاً ٥١

إلى السادة الكتّاب

- يجوز إعادة نشر المواضيع التي تظهر في «الوعي» دون إذن مسبق على أن تذكر كمصدر.
- لا تقبل «الوعي» إلا المواضيع التي لم يسبق نشرها وإلا فعلى الكاتب ذكر المصدر.
- لـ «الوعي» حق تصحيح المواضيع المرسلة، وهي غير ملزمة بإعادة المواضيع التي لم تقبل للنشر.
- نرجو ترقيم جميع الآيات القرآنية ووضع خط تحتها وتحت الأحاديث النبوية الواردة في المقالات وتخريجها.
- جميع المراسلات ترسل إلى عنوان المجلة في ألمانيا.

عناوين المراسلين

ألمانيا
N. Abdallah
Postfach: ٣٠١٥١٣
D – ١٠٧٤٩ Berlin
Germany

اليمن
جعبل أحمد عبد الله
P.O Box:
١١٠٥٦
Sanaa - Yemen

الدانمرك
AL - WAIE
P.O.Box ١٢٨٦
٢٣٠٠ KBH. S
Danmark

أستراليا
AL - WAIE
P.O.Box ٣٨٤
Punchbowl ٢١٩٦
NSW - Australia

England
Al-Waie
Suite ٢٩٨
٥٦ Gloucester Rd
London SW٧ ٤UB

Canada : كندا
AL - WAIE
Eglinton Ave. East ٢٣٧٦
P.O.Box # ٤٤٥٥٣
Scarborough, ONT. M١K ٢PO

عنوان «**الوعي**» على الإنترنت
www.al-waie.org

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها المسلمون:

كلمة الوعي

إحداث الفتنة مخطط أمريكي للبقاء في العراق

سيكون شهر تشرين الثاني المقبل موعد الانتخابات النصفية للكونغرس وحكام الولايات، وهو استحقاق قد يكلف الحزب الجمهوري في أميركا خسارة فادحة تشير إليها استطلاعات الرأي التي تظهر أدنى مستوى وصلت إليه شعبية بوش المتآكلة. فقد أجرى معهد غالوب الشهير استطلاعاً للرأي بثت نتائجه شبكة «سي إن إن» وصحيفة «يو أس تودي». وكانت نتيجته أن ٦٠% من الأميركيين يرون أن الوضع سيئ جداً للولايات المتحدة، و٥٧% يقولون إن إرسال قوات إلى العراق كان خطأ، و٦٧% يعتبرون أن الرئيس لا يملك أي خطة لهذا البلد... وفي مقابل ذلك أكد محللون جمهوريون أن بوش بحاجة إلى حدث نوعي مثل القبض على بن لادن لاستعادة الزخم المطلوب.

هذا الرأي العام الذي تكوّن لدى الشعب الأميركي بفعل هذه النتائج أخذ يضغط على أعضاء الكونغرس وحكام الولايات من الحزب الجمهوري ليضغط بدوره على بوش بنفس الاتجاه لأن مصالحهم الانتخابية أصبحت مهددة... ولكن هل يدفع الضغط هذا بوش هذا إلى الانسحاب من العراق، والتخلي عن الأهداف التي كان من أجلها الاحتلال؟

إنه لا يتوقع من بوش ومن معه من أكابر المجرمين أن يتخلوا عن أهداف هي أهداف لزعماء أميركا جميعهم من الجمهوريين والديمقراطيين. وأبرز هذه الأهداف هو محاربة المشروع الإسلامي للنهضة كونه يشكل خطراً على مشروع أميركا لزعامة العالم بامتياز، وكذلك وضع اليد على النفط كونه السلعة الأكثر استراتيجية في العالم. وقد شاء الله سبحانه أن يجتمع هذان الأمران في بلاد المسلمين... وهذان الهدفان غير قابلين للتغيير إلا إذا غيرت أميركا مبدأها، وغيّرت طبيعتها اللاإنسانية المتوحشة القائمة على الاستعمار بأبشع صوره. إذاً ما الذي سيفعله بوش وإدارته أمام هذا الضغط الشعبي المتزايد والذي لا يمكن إغفاله؟

لا شك أن في يد بوش أكثر من ورقة ليلعبها في العراق، فهو إذا فشل في فرض مشروعه عسكرياً فإنه لن ينسحب نهائياً ويعود إلى بلاده، بل سينسحب إلى خط قتال ثانٍ وثالث، وهذا ما وجدنا أنه بدأ العمل به.

إن أميركا تفكر منذ مدة بالخروج من مأزق فشلها العسكري... فقد دعت إلى مؤتمر الوفاق الوطني العراقي الذي كان مخططاً له أن تندمج أطراف المقاومة المسلحة في المشروع

السياسي الأميركي كسبيل لاحتوائها، ولكن المؤتمر لم يعقد في أواخر شباط الماضي كما كان مقراً له... وكذلك فكرت، للخروج من مأزقها، الاستعانة بقوات عربية وإسلامية لحفظ الأمن والسلام الداخليين في العراق لمصلحتها، على غرار ما حدث في لبنان، ولكن يبدو أن الأمر أعقد من أن يتحقق بالسرعة التي يمكنها أن تفوّت الضغط الشعبي على بوش... وهي الآن بصدد الاتصال بإيران من أجل أن تطرح تقاسم المصالح الأمنية والنفطية معها، وذلك في الوقت الذي ترسل فيه رسائل ضغط تفجيرية لقطاعات الشعب العراقي لكي تخضع هذه القطاعات للرغبات الأميركية ولا تخرج عن الخط المرسوم، فتارة تفجر أميركا مسجداً هنا وآخر هناك، وتارة تفجر سوقاً لهؤلاء وسوقاً آخر لأولئك. وهي في كل مرة تختار موقفاً له صبغة معينة ليظن كل قطاع من الشعب العراقي أن القطاع الآخر من الشعب نفسه هو وراء ما حدث، ولها من وراء ذلك هدفان:

أما الهدف الأول الذي فهو ضرب المشروع الإسلامي، فإنها إذا نجحت في بث الفتنة، فإنها تجعل المسلمين يعطون أسوأ صورة عن دينهم بأيديهم، وتجعل بأسهم بينهم بدل أن يكون على عدوهم، وستعقد بين المسلمين حواجز من الكراهية والانقسام والتفرق، وسينجح الشيطان الأميركي ومعه البريطاني، ومعهما اليهودي أن يجعلوا المسلمين يتهارشون ويتحارشون ويظنون ببعضهم الظنونا... إن قوات الاحتلال في العراق هي فقط من يستطيع تفجير هذا النوع من الصراعات فهي موجودة بجيوشها العسكرية، وجيوشها السرية، وبعملائها... إن خطة أميركا في ذلك تقوم على إحداث تفجيرات طائفية، ثم ترك الشارع تتجاذبه ردات الفعل الطائفية، من غير أن يقوموا بأي شيء لمنعه، بل يدفعون قوات الشرطة العراقية ذات اللون الطائفي للتدخل وحسم الأمر، وبهذا يستشري العداء المذهبي الطائفي ويزداد، ويصبح كل طرف يلجأ لأميركا لحل مشاكله، بدل أن يجتمع الجميع على مقاومة المحتل لإخراجه.

أما الهدف الثاني فهو وضع اليد على النفط، فإن العداء الطائفي سيؤدي إلى فرز طائفي، حيث سيعمل على أن تكون هناك مناطق نظيفة للشيعة، وأخرى نظيفة للأكراد، وأخرى نظيفة للسنة... وسيصبح العراق مناطق طائفية ذات لون واحد، وبخاصة الشمال والجنوب حيث مناطق النفط، وتبقى المناطق المختلطة في الوسط البعيدة عن مناطق النفط مسرحاً لرسائل الضغط التفجيرية، تقوم بها أميركا لضبط إيقاع تلك الطوائف مع مصالحها، وهكذا تضمن أميركا وضع يدها على النفط، وهذا يذكرنا بمشروع ليزلي لتقسيم العراق. وما تصريحات رامسفيلد في ٣/١٩ أمام الكونغرس التي يقول فيها إن خطته تقوم على «منع حرب أهلية شاملة

في العراق، ولكن إذا نشبت ستتعامل معها قوات الأمن العراقية بقدر استطاعتها بدعم من قوات التحالف». إلا أوضح تفسير لما تخطط له الإدارة الأميركية الحالية في هذا المجال. فهي ستمنع قيام حرب أهلية شاملة في كل العراق، إذ سيكون الشمال والجنوب منطقتين نظيفتين وفق ما تخطط له أميركا، وتبقى (القلاقل) محصورة في الوسط والمناطق المختلطة البعيدة عن النفط. أما قوله «ستتعامل معها قوات الأمن العراقية بقدر استطاعتها» فإنه يعني وضع المسلمين في مواجهة بعضهم، وتذكية النعرة الطائفية، ويعني إبقاء القوات الأميركية بعيدة عن المواجهة وفي مأمن من قتل جنودها، وتكبدها الخسائر المادية...

هذا ما تنويه إدارة بوش الذي لم يشهد التاريخ المعاصر مثيلاً لإجرامها... فهل يرضى أحد من المسلمين أن يكون أداة بيد الشيطان، ويخضب يديه بدماء المسلمين، ويحقق لأميركا ما لم تستطع أن تحققه بيديها الآثمتين؟

إن الأمر واضح لا لبس فيه، وهو كبيرة من أكبر الكبائر، إثمها عظيم، وعاقبتها شر مستطير، فالرسول الكريم ﷺ يقول: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»... إنها فتنة عمياء لا يشارك فيها إلا كل بعيد عن طاعة الله، ولا يهمه رضى الله في شيء... وإن من يشارك فيها كمن يشارك في قتل أمه، وأبيه، وأخيه، وزوجته، وابنه، وحتى نفسه... نظراً لردود الأفعال التي تستلزمها... إنها فتنة لا تبقي ولا تذر، إنها تهلك الحرث والنسل.

إن مشروع الفتنة هذا يجب أن يرد عليه المسلمون بمزيد وحدة وتآخٍ، بمزيد وعي وتبصر وتقوى، بمزيد عزم وعمل على قلع الاستعمار الغربي عموماً والأميركي خصوصاً... إن أفضل رد على أميركا ومن لف لفها هو بالتقاء المسلمين على صعيد واحد: موالاة الإسلام والمسلمين ومعاداة الكفر والكفار، ووحدة البلاد والعباد دونما تجزئة أو تقسيم طائفي أو مذهبي.

إن هذه الفتنة سيستمر أعداء الله ورسوله والمؤمنين أجمعين في إيقاد جذوتها من حين إلى حين حتى تصل إلى مداها المرسوم لها... وإنه لن يوقفها إلا صالحو المسلمين من الطرفين، ومن بيدهم الأمر من العلماء المسلمين المخلصين وأهل الوزن والثقل من العشائر... إن على هؤلاء لجم المشاعر الطائفية المتدفقة لدى العامة ومنع الاقتتال أو المشاركة فيه ببيان حرمته الشديدة، وبالتالي العمل على توعية المسلمين على ما يخطط ضدهم ويراد بهم... إن الوعي العام على هذه المسألة حصراً سيكشف كل من ينخرط في هذه الفتنة، وسيكشف ارتباطهم بأعداء المسلمين المتربصين بالأمة كل شر.

(التتمة ص٤٧)

أخلاق رسول الله ﷺ في الدعوة (٨):

دعوته ﷺ الحَكَم بن كَيْسَان وخالد بن سعيد بن العاص إلى الإسلام

ـ أخرج ابن سعد عن المقداد بن عمرو قال: أنا أسرت الحكم بن كيسان، فأراد أميرنا ضرب عنقه، فقلت: دعه نقدم به على رسول الله ﷺ فقدمنا، فجعل رسول الله ﷺ يدعوه إلى الإسلام فأطال، فقال عمر: علامَ تكلم هذا يا رسول الله؟ واللهِ لا يسلم هذا آخر الأبد، دعني أضرب عنقه ويقدم إلى أمه الهاوية، فجعل النبي لا يقبل على عمر حتى أسلم الحكم، فقال عمر: فما هو إلا أن رأيته قد أسلم حتى أخذني ما تقدم وما تأخر، وقلت: كيف أرد على النبي ﷺ أمراً هو أعلم به مني؟! ثم أقول: إنما أردت بذلك النصيحة لله ولرسوله، فقال عمر: فأسلم، والله، فحسن إسلامه، وجاهد في الله حتى قتل شهيداً ببئر مَعُونة ورسول الله ﷺ راضٍ عنه ودخل الجنان.

وعنده أيضاً عن الزهري قال: قال الحكم: وما الإسلام؟ قال: «تعبد الله وحده لا شريك له، وتشهد أن محمداً عبده ورسوله» فقال: قد أسلمت: فالتفت النبي ﷺ إلى أصحابه فقال: «لو أطعتكم فيه آنفاً فقتلته دخل النار».

ـ وأخرج البيهقي عن جعفر بن محمد بن خالد بن الزبير عن أبيه قال: كان إسلام خالد بن سعيد ابن العاص قديماً، وكان أول إخوته أسلم، وكان بدء إسلامه أنه رأى في المنام أنه وُقف به على شفير النار... فذكر من سعتها ما الله أعلم به. ويرى في النوم كأن أباه يدفعه فيها، ويرى رسول الله ﷺ آخذاً بحَقْوَيْه (موضع الإزار = الخصر) لئلا يقع، ففزع من نومه فقال: أحلف بالله أن هذه لرؤيا حق. فلقي أبا بكر، فذكر ذلك له، فقال: أريد بك خيرٌ، هذا رسول الله ﷺ فاتبعه، فإنك ستتبعه وتدخل معه الإسلام، والإسلام يحجزك أن تدخل فيها، وأبوك واقع فيها، فلقي رسول الله ﷺ وهو بأجياد، فقال: يا محمد، إلامَ تدعو؟ قال: «أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده وسوله، وتخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع، ولا يضر، ولا يبصر، ولا ينفع، ولا يدري من عبده ممن لا يعبده!» قال خالد: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنك رسول الله، فسرّ رسول الله ﷺ بإسلامه.

وتغيب خالد، وعلم أبوه بإسلامه، فأرسل في طلبه فأُتيَ به، فأنّبه وضربه بمقرعة في يده حتى كسرها على رأسه، وقال والله لأمنعنك القوت، فقال خالد: إن منعتني فإن الله يرزقني ما أعيش به، وانصرف إلى رسول الله ﷺ فكان يلزمه ويكون معه ❑

الخلافة:
تحدي الإسلام للنظام العالمي؟

نشر موقع الشاشة الإعلامية العالمية (Media monitors) في ٢٠٠٦/١/٣١ هذا المقال لمؤلفه نعمان حنيف. وفيه قراءة متأنية، ونظرة ثابتة، ورؤيا مستقبلية، لما سيؤول إليه الصراع بين الغرب والإسلام، والذي سيصل بنظره إلى نتيجة واحدة، وهو أنه «ليس لدى الغرب أي خيار سوى قبول حتمية الخلافة». وأحبت الوعي نشره على صفحاتها لما يحمل نشره من خير للأمة، ولجعلها تدرك إلى أي حال تبشر بالخير وصلت إليه.

يسود اعتقاد ديني لدى الحركة الإسلامية المتطرفة بمشروعية دولة الخلافة على أنها قلعة لاستعادة القوة الإسلامية، ووسيلة تتحدى بها تفرد الحضارة الغربية، وينذر بقدوم عاصفة في العالم الإسلامي وما وراءه، وقد تختلف الحركة الإسلامية بناءً على مصادرها من القرآن الكريم والتاريخ الإسلامي حول منهجيتها لإحياء الخلافة بالعمل الجهادي أو الإصلاحي أو السياسي، إلا أنها تجمع بكل أطيافها على هدف إعادة الخلافة.

وكان رد الفعل الغربي على الحركة الإسلامية هو ربط الخلافة بالجهاد العالمي، وبتوسيع رقعة الحرب على الإرهاب، وأدى تطور لغة خطاب العواصم الغربية من "الإرهاب العام" إلى "الإرهاب الإسلامي" ومن ثم إلى "أيديولوجية الشر" وأخيراً ضد "الخلافة" إلى الإقرار بما كانت الحركة الإسلامية تتبناه منذ فترة طويلة بأن الحرب على الإرهاب هي بالأساس حرب على الإسلام.

وكدليل آخر، فقد أفادت الحركة الإسلامية باستدلالها على موقفها من سلسلة من التصريحات الاستثنائية حول الخلافة من قبل القادة السياسيين في واشنطن وأوروبا. ففي خطاب له في مؤسسة هيرتيج في ٢٠٠٥/١٠/٦م قال وزير الداخلية البريطاني تشارلز كلارك: «... لايمكن أن تكون هناك مفاوضات حول إعادة دولة الخلافة، ولا مجال للنقاش حول تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية» أما الرئيس بوش فقد صرح في خطاب له للأمة في ٢٠٠٥/١٠/٨م قائلاً: «يعتقد المقاومون المسلحون أنهم باستيلائهم على بلد واحد سيقودون الشعوب الإسلامية، ويمكنونهم من الإطاحة بكافة الحكومات المعتدلة في المنطقة، ومن ثم إقامة إمبراطورية إسلامية متطرفة تمتد من إسبانيا إلى إندونيسيا». وفي ٢٠٠٥/١٢/٥م قال وزير الدفاع الأميركي دونالد رامسفيلد في تعليق

لـه حـول مسـتقبل العـراق في جامعـة جـون هـوبكنز: «سـتكون العـراق بمثابـة القاعـدة للخلافـة الإسـلامية الجديـدة الـتي سـتمتد لتشـمل الشـرق الأوسـط وتهـدد الحكومـات الشرعية في أوروبا وأفريقيا وآسيا، وهـذا هـو مخططهم، لقد صرحوا (الحركة الإسلامية المتطرفة) بـذلك، وسـنقترف خطـأً مروعـاً إذا فشلنا في أن نستمع ونتعلم».

والخلافة حسب تعريف الحركة السنية الإسـلامية هـي رئاسـة عامـة لكـل المسـلمين تهدف إلى تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية وحمـل الرسـالة الإسـلامية إلى كـل العـالم، وهي وريثة الخلافة الإسلامية التي امتدت في يوم من الأيام من إندونيسيا إلى إسبانيا ولمدة ألف وأربعمائة عام، وهي ليست بالملكية، ولا بالديمقراطيـــة، ولا بالديكتاتوريـــة، ولا بالحكومة الدينية (الكهنوتية)، بل هي عقد قيـادة بـين الخليفـة المنتخـب والأمـة مـن أجـل تطبيـق الأحكـام الإسـلامية في السياسـة الداخلية والخارجية.

إن الاخـتلاف بـين الطائفـة (المدرسـة) السـنية والشـيعية هـو أن طائفـة السـنة تقبـل بإعـادة الحكـم الإسـلامي علـى يـد أي مسـلم يتصف ببعض المواصفات المعينة، بينما الشيعة تشـترط علـى أن يكـون الشـخص الـذي لديـه السلطة لتطبيق الحكم الإسلامي منحدراً من عائلـة الرسـول محمـد ﷺ. وبمـا أن سـلالة الرسـول ﷺ قـد توقفـت بعـد اختفـاء أو اختبـاء الإمـام الثـاني عشـر عـام ٩٤١م، هـذا يعـني أنـه مـن المسـتحيل الشـروع مـن جديـد بتطبيـق الحكـم الإسـلامي إلا بظهـور هـذا الإمـام مـن جديـد. ولهـذا السـبب، إن الثـورة الإيرانية لم تعلن أبداً أو لم تُقبل كخلافة من قبل أغلبية السنة والشيعة في العالم الإسلامي.

وفي هـذا المقـال، سـأتطرق إلى موقـف الغـرب في تجنـب خـوض مواجهـة مفتوحـة مـع الإسلام ومقاومتهم للحركـة الشـعبية المندفعـة تجاه إحيـاء الخلافـة، وسـأبرهن كيـف أصبح مـن الصـعب علـيهم أن يحتفظـوا بمثـل هـذا الموقف. إن الحركة الإسلامية تنتصر في كل معركـة تخوضـها في حـرب الأفكـار بفضـل سـلاحها وهـو القـرآن. إلا أن مـؤازرة الإسـلام المعتدل كجزء من الليبرالية الغربية في العالم الإسلامي آخذ في الانهيار نظراً للسلطة العليا لعلامة الحركة الإسلامية.

لقـد نجحـت الحركـة الإسـلامية بتقـديم نمـوذج أيـديولوجي بـديل لليبراليـة العلمانيـة الغربيـة للجمـاهير المسـلمة حيـث يتفـق هـذا النمـوذج مـع القـرآن. ويشـكل إحيـاء الخلافـة ذروة هذا النموذج ووسيلة لتحدي البناء العالمي المسيطر عليه من قبل الغرب.

وفي النهايـة، إذا قـرر الغـرب أن يتحـدى هذا النموذج فسيضطر إلى شن المعركة ضد الإسـلام والقـرآن. ولا تعتـبر هـذه الحركـة كتسـريع مقصـود لوقـوع تصـادم الحضـارات، بل هي بمثابة إقرار واضح على عدم الانسجام (التوافق) بين الإسلام والليبرالية الغربية.

لا يجـب أن نتوقـع مـن الغـرب أن يغـير مـن سياسته تجاه العـالم الإسـلامي، فهـذا تفكـير سـفيه، حيـث إن الغـرب سيسـتمر بسياسـته المبنيـة علـى الصـراع بـين أمـن الطاقـة، وعولمـة الرأسماليـة، وتـرويج الديمقراطيـة العلمانيـة،

وأقلمة الإسلام المعتدل. وبالتالي فإن أي محاولة من الغرب لفرض الديمقراطية بالقوة وعن طريق الاحتلال في العالم الإسلامي ستؤدي فقط إلى تقوية الحركة الإسلامية. كما أن الاستمرار في دعم الأنظمة الديكتاتورية والملكية التي تهدف إلى القضاء على الحركة الإسلامية وتعارض قيام الخلافة يؤكد للجماهير أن الغرب ينوي الاستمرار بشن حملته الصليبية عليهم. وقد وفرت هذه الظروف البيئة المناسبة لانهيار الأنظمة المحلية وقيام الخلافة، وبالتالي وقوع تغيير جذري في النظام العالمي.

جذور إحياء الحركة الإسلامية

إن الفراغ الأيديولوجي الذي وجد بعد فشل التجربة الشيوعية في روسيا حوّل تركيز النقاش الدولي إلى الإسلام وما إذا كان بإمكانه أن يملأ هذا الفراغ ويصبح تحدياً أمام النظام العلماني الليبرالي العالمي المنتصر بقيادة الولايات المتحدة بأوروبا. وبعد الانهزام الأيديولوجي وغير المتوقع للشيوعية، اعتبر الأكاديميون الذين ترعرعوا في بيئة من التقاليد الغربية العلمانية الليبرالية أن إحياء الحركة الإسلامية هي عبارة عن رد فعل لسمو الأيديولوجية الغربية ولغز استراتيجي، ولكن ليس بمقدورها أن تقف كتحدٍّ أمام النظام الغربي العالمي. لقد سيطر هذا التفكير على الأدب الغربي وأدى إلى خطأ فادح في فهم وتفسير أساس إحياء الإسلام وتحديه للنظام العالمي.

لقد ارتكب الأكاديميون وصناع السياسة الغربيين خطأً كبيراً عندما حللوا مصدر إحياء الإسلام والظروف التي حفزته على أنه أمر واحد، فلم يتم فصل ينبوع الأفكار عن البيئة السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي عززت نموها. أما بناء الحركة الإسلامية، التي تهدف إلى إعادة إحياء الإسلام بأكمله عن طريق قيام الخلافة، فتعود جذوره إلى مصدر إلهامه ألا وهو القرآن الكريم.

يعتبر القرآن في العالم الإسلامي المشروع المثالي للأفكار، ويعود الفضل له في وضع نهاية للتاريخ قبل ١٢٠٠ عاماً قبل أن يضع فرانسس فوكوياما "العلامة القياسية" من خلال الثورة الفرنسية. إن الإيمان بكمال القرآن وبالتالي بقوانين الله النابعة منه يزرع جذور الغضب الإسلامي، ويجعل من قيام تضارب الحضارات بين الإسلام والليبرالية العلمانية أمراً لا مفر منه.

وفيما يتعلق بفشل الإسلام السياسي المذكور، فإن النقاش الأكاديمي الغربي يلحق العولمة الغربية لدرجة أنه يكوّن فرضية عن الإسلام بصورته الخاصة المنتزعة من القرآن ومن إرث الفقه الإسلامي وكذلك قوة الحركة الإسلامية، إن الإيمان بأن القرآن عالمي، وأن هنالك توافق بين المادة والروح، يجعلان من عملية حرف الإسلام أمراً غير ممكن.

وهنالك نقاش حاد من قبل الحركة الإسلامية مبني على آيات القرآن، حول القاعدة التي يقوم عليها الغرب العلماني «أعط ما لله لله، وما لقيصر لقيصر»، وتضيف أنه لا يوجد مرادفات للمفاهيم

الغربية التشريعية في الحوار الإسلامي الكلاسيكي أو المعاصر.

وفي الواقع، إن القول بأن الإسلام السياسي قد فشل لأنه لم يتمكن من التأقلم مع الحداثة الغربية ومع البنية السياسية الغربية، لا يعتبر محاكمةً لفشل الإسلام السياسي، بل إنه برهان آخر على أن الإسلام وهندسة السياسة الغربية لا يتلاءمان من الأصل. ومن ناحية أخرى فإن قيام الحركات الإسلامية بتقديم بنية الخلافة، كبديل سياسي ونظامي للأنموذج الغربي العلماني الحالي، يمثل نجاحاً للإسلام السياسي.

بلا شك إن الوضع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي في العالم الإسلامي قد دعم قضية الحركات الإسلامية. ولكن على عكس افتراضات الغرب، فإن الحل لا يكمن في الليبرالية العلمانية أو الرأسمالية بل في الإسلام. ولا بد من التوصل لمثل هذه النتيجة نظراً لما تحمله العالم الإسلامي خلال عقود من التدخل الغربي، سواء عن طريق الاستعمار، أم صراع القوى الكبرى، أم الصداقات القاسية مع الديكتاتوريات غير الإسلامية باسم الاستقرار ومصالح الأمن فيما يتعلق بالنفط. والاستعمار الغربي، والذل، والتدخل، يؤكد للجماهير الإسلامية أن الغرب هو سبب معاناتهم، وليس الإسلام؛ ولهذا فقد شرعت الجماهير الإسلامية بالبحث عن بديل في الإسلام على أمل أن يعيد لهم كرامتهم وقوتهم، ويوفر لهم الحماية والاستقرار من خلال نظام مكرس للفرد والدولة والمجتمع. وإذاً إنه لأمر طبيعي أن يربطوا آمالهم هذه بالقرآن والإرث الإسلامي وبالخلافة. وإن محاولات الغرب إبطال عملية الإحياء هذه وقيام الخلافة عن طريق التدخل العسكري والسياسي والثقافي والاقتصادي سيشعل نار المسلمين أكثر فأكثر.

البعث (الإحياء)

إن النداء إلى قيام الخلافة على يد الحركة الإسلامية يتجاوز الحدود الاستعمارية الزائفة التي رسمها الغرب بعد زوال الخلافة العثمانية. فاليوم يواجه كل نظام في العالم الإسلامي خطراً يهدد وجوده بسبب قيام الحركة الإسلامية التي تتعدى الوطنية. علماً بأن رفض الوطنية باعتبارها هدامة مفرقة، مدعوم بمراجع من القرآن والشريعة والتاريخ مما يعزز المطالبة بإلغاء الدول القائمة على الوطنية في العالم الإسلامي، وإقامة خلافة واحدة بدلاً منها. كما ونتج عن الانهيار السوفياتي توسع سريع للحركة حيث ملأت الفراغ في القوقاز وآسيا الوسطى مكملةً المساحة التي شملها الإحياء الإسلامي.

إن الإيمان بأن الإسلام هو مصدر شامل للتشريع موجه للفرد والدولة والمجتمع، إضافةً إلى الحركة العالمية في الهجرة والأفكار والمعلومات، قد مكن العالم الإسلامي من تخطي شعورهم بالانحطاط الفكري والتكنولوجي والسياسي أمام الحضارة الغربية. يتوفر في العالم الإسلامي ثروة معدنية واستراتيجية وفكرية ومصادر إنسانية مما يتضمن وجود ثقة فكرية حول القدرة على إقامة خلافة تتحدى وتتفوق على السمو

الغربي العسكري والتكنولوجي. وبالتالي ليس من المفاجئ أن يعمل أعضاء في الحركة الإسلامية ذوو ثقافة وتعليم عالٍ من بوتقة الحضارة الغربية في واشنطن وباريس وروما على قيادة الترويج العالمي للخلافة بنجاح.

لقد أدت عدة عوامل، بدايةً بقيام إسرائيل وحتى غزو العراق، إلى تغيير جذري في الجو والبنية السياسية في العالم الإسلامي. إن البلوغ السياسي في العالم الإسلامي لم يعد عاجزاً كما كان في المرحلة الأخيرة من الخلافة العثمانية، وذلك بفضل تثقيف الحركة الإسلامية للجماهير الإسلامية وأيضاً بمساعدة السياسة الغربية، ومؤخراً تلاقي المشاريع التي طورتها القوى الغربية بمشاركة الأنظمة المحلية، لصرف نظر الشعوب عن الحركة الإسلامية وسحقها خلال الثمانين عاماً الأخيرة، تمثل تهديداً متزايداً نظراً لانتشار الوعي السياسي. وقد لاقت الحرب على الإرهاب وغزو العراق تحليلاً في العالم الإسلامي مفاده أن هذه حرب على الإسلام، وسياسة متبعة لإبطال قيام الخلافة. ومن هنا لم تعد الحركة الإسلامية تفرق بين السياسة الغربية والحكومات المحلية. ومع مزيد من التثقيف السياسي، فإن الاتجاه نحو تغيير النظام يصبح واقعياً أكثر بنظر الحركة الإسلامية عنه بنظر القوى الغربية.

تحدي النظام العالمي

سيشهد ١٤٠٠ عاماً من تاريخ الخلافة في غضون الفكر العلمي والعسكري والاقتصادي والسياسي على قيام انقلاب قريب في البنية الدولية التي تسيطر عليها كل من الولايات المتحدة وأوروبا. وتماماً كما تعود الحضارة الغربية دائماً إلى مصادر إلهامها الكلاسيكية القادمة من اليونان وروما، كذلك فإن الحركة الإسلامية قد قررت العودة من ماضيها إلى مستقبلها.

لقد شكل إنجاز الحركة الإسلامية بعث الحياة في مصادر الإسلام الكلاسيكية وتحويلها إلى نموذج حديث يتحدى الأيديولوجية الغربية، وقد شكل هذا نواة مقاومتها ضد الشيوعية بكونها نظاماً سياسياً. ويقاوم نفس هذا النموذج اليوم النظام الرأسمالي العلماني العالمي.

ومن أجل تطبيق هذا النموذج، قامت الحركة الإسلامية بتفصيل النماذج الاقتصادية والاجتماعية والسياسية البديلة. وقد اشتقت القوانين الشاملة من القرآن والمصادر الكلاسيكية، وصولاً إلى المعاملات الاقتصادية والعلاقات الاجتماعية وقانون العقوبات والتشريع والحكم والسياسة الخارجية، مما زاد من ثقة الجماهير الإسلامية على أن الإسلام والخلافة قادران على تقديم الحلول للمشاكل المعاصرة.

ومما يثبت أن قوى الغرب لن تواجه سوى مشاكل صغيرة مع البنية الاجتماعية ونظام الحكم في الخلافة هو سياستهم الخارجية التي يستخدمونها تجاه الأنظمة الديكتاتورية المتتالية في هذه الأيام. بل إن التحدي الحقيقي الذي سيواجه المصالح الغربية والرأسمالية العالمية يكمن في مبادئ وسياسات الاقتصاد والجيش والعلاقات الخارجية.

إن تعريف الحركة الإسلامية للمشكلة الأساسية التي تواجه الاقتصاد هي مشكلة في التوزيع وليست مشكلة في الإنتاج كما في الفكر الغربي. وكذلك في نظام الخلافة، سيصبح الفصل بين الدولة والملكية العامة والخاصة بديلاً لنظام الخصخصة في النموذج الاقتصادي. وفكرة رفض أن يكون السوق هو الموزع الوحيد للثروة والبضائع الأساسية سيشكل ضربةً قويةً في أفريقيا وآسيا والشرق الأوسط وأميركا الوسطى والجنوبية، حيث لن يتمكن الاقتصاد الحر والرأسمالية الدولية في تلك المناطق من التغلب على الفقر بالرغم من الوعود بقيام العولمة والتجارة متعددة الأطراف.

وسيتم التعامل مع الثروة المعدنية، والتي تشمل النفط والغاز وفقاً لمبادئ الاقتصاد الإسلامي، حيث تعتبر هذه الثروة من حق كل مواطن، وتتولى الدولة مهمة حفظ حق التصرف بها. وإذاً فإن هذا القانون يتطلب إزالة مصالح النفط الغربية في العالم الإسلامي، علماً أن حصول الغرب الآن على هذه الثروات بثمن زهيد في العالم الإسلامي وبدعم من الحكومات المحلية يجعل من إعادة الخلافة أمراً ذا أهمية بالغة.

ستقوم الخلافة بدورها (كما فعلت في السابق)، مدعومةً بثروة النفط والثقة السياسية، بنشر التنظيم المالي والاستقرار في البيئة الاقتصادية المحلية والدولية. وربما يصبح سلاح النفط الأساس من أجل تحصيل الذهب الكافي لدعم النقد (المال). إن هذا الاستقرار المتوقع في الاقتصاد سيشكل عاملاً أساسياً من أجل إعادة سيطرة الذهب في السوق المالي والتخلي عن الدولار، وذلك بانهيار ثقة قوة سياسية كانت تعتبر العليا.

إن رفض الحركات الإسلامية لفكرة وجود قانون دولي على صرح عقائدي ومبني على فكر هوبس[1] سيشكل تهديداً متزايداً لوجود الأمم المتحدة. فالخلافة ستقاوم فكرة وجود القانون الدولي والأمم المتحدة كمسيّرة لشؤون الغرب العلماني، على عكس الاتحاد السوفياتي، وهذا الرفض موجود منذ وقت طويل في العالم الإسلامي والنامي. وكبديل لهذا الأمر، ستلجأ الخلافة كما فعلت في السابق إلى تسيير العلاقات الدولية عن طريق الأبحاث والعادات وقوة الرأي العام الدولي.

من المتوقع أن تكون الهيمنة العسكرية للخلافة سريعة، كما أنها ستقوم بإزالة جميع القواعد العسكرية الغربية في العالم الإسلامي، وبالتالي لن يعود هنالك للغرب أي حق في استخدام الطرق المائية الاستراتيجية والفضاء الجوي والطرق البرية والتعبئة العسكرية، إضافةً إلى أن توفر الخيار النووي سيجعل هذا الأمر مستحيلاً.

لن تواجه الخلافة نقصاً في توفر العقول النابغة، وسيكون لها يد في السوق الدولي من العلماء المفتوح أيضاً لواشنطن وأوروبا. إضافةً إلى ذلك، سيتم بالتأكيد استغلال العقول المسلمة الذكية التي تعمل بشغف في أوروبا والاتحاد السوفياتي العسكري الصناعي السابق وذلك عن طريق ترحيلها من الغرب إلى بلدانها (الإسلامية).

وكما سبق في التاريخ، لابد أن يسيطر

السعي للقيادة العسكرية؛ وذلك من أجل تعزيز مسيرة الخلافة تجاه القيادة الأيديولوجية العالمية. ولكن، إن القيادة العسكرية لم تمنع الفساد الأيديولوجي خلال فترة الخلافة العثمانية، حيث كان السبب سياسي تماماً كما حدث في انهيار الاتحاد السوفياتي. ويبدو أن الحركة الإسلامية قد تعلمت درساً من التاريخ، وذلك من خلال إبدائها مهارات سياسية حاذقة في قدرتها بالاحتفاظ بقوتها في العالم الإسلامي. ومن دون شك ستخدم هذه الحنكة السياسية كقوة رائعة تطبقها الخلافة خلال سعيها لإقامة ثورة في النظام العالمي.

قبول الخلافة

في خطاب له خلال المرحلة الأخيرة من تفكيك الخلافة العثمانية، رفع رئيس الوزراء البريطاني السابق، وليام جلادستون، القرآن أمام البرلمان وقال: «مادام هذا القرآن موجوداً في أيدي المسلمين فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق». وقد تحقق تنبؤه على أرض الواقع عندما بدأ الاجتهاد (وهو منهج ديني لاستخلاص القانون الإسلامي) والذي مكن الحركة الإسلامية من اللجوء إلى القرآن لحل مشاكل معاصرة كبديل لليبرالية العلمانية الغربية.

ولا تستطيع السياسة الغربية أمام هذا التحدي بالاستمرار بمحاربة الإسلام بشكل غير مباشر أي من خلال الحرب على الإرهاب. كلمة "إسلام" تعني السلام ولكن لهذا الإسلام شروطه من خلال الخضوع الكامل لقانون الله. وبالتالي، وبالرغم من تملق كل من واشنطن وأوروبا السياسي تجاه الإسلام، إلا أنه من غير الممكن أن يكون هنالك تعايش ما بين الإسلام والحضارة الغربية.

ويبدو أن السياسة الأميركية المتأثرة بحكم الرئيس السابق ريغن والتي تتسم بطابع المحافظين الجدد آخذة بربط الخلافة بطابع "أيديولوجية الشر". ولكن، يجب على السياسة الغربية أن تتسم بشجاعة أكبر كي تُعرِّف الإسلام بكونه التهديد الأساسي، تماماً كما كانت الحال مع الشيوعية. كما أن استمرار حالة الإنكار لدى واشنطن وأوروبا فيما يتعلق بوقوع صراع مع الإسلام، سيولد مزيداً من الارتباك والإحباط والتناقض بين الأكاديميين والدوائر السياسية الذين يعون جيداً عدم التوافق بين النظامين.

إلا أن العالم الإسلامي، من جهته، لا يعاني من حالة الارتباك تلك، حيث لا شك أن ما لديه هو أن السياسة الغربية تستهدف الإسلام، وتحاول منع قيام الخلافة في قلب الشرق الأوسط، ومما يدل على ذلك الغزو الأميركي للعراق، ورفض أن يكون الإسلام مصدر تشريعه، وأن تكون الخلافة بنيته السياسية.

إن بروز الجهاد العنيف العالمي ورد الغرب عليه بشن حرب على الإرهاب قد استقبل بتجاهل من الغرب؛ لأسباب ودوافع بروز شعور مناهض للغرب في العالم الإسلامي. ففي الواقع، إن الجهاد العالمي هو رد فعل محبط لسياسة الغرب التي تتضمن دعم الأنظمة التي تعذب مواطنيها، وتعيق الحركة الإسلامية بتحقيق هدفها ألا وهو إقامة الخلافة.

إن كل من واشنطن وأوروبا تخدع نفسها إذا اعتقدت أن بإمكانها طمأنة مجتمعاتها بالقول إن الحركة الإسلامية ستختفي بكل بساطة بفضل الحرب على الإرهاب وغزو العراق، أو أن العالم الإسلامي سيتبعهم بعد دراسة استعمارية جديدة. إن العامل السياسي يزداد جأشاً في الحركة الإسلامية بينما يزيد الجهاد المخاطر بواسطة توسيع واستمرار الهجمات العنيفة على المجتمعات الغربية.

تستضيف كل من أميركا وأوروبا خاصةً أعداداً كبيرةً من المسلمين الذين لديهم اتصالات قوية مع الحركة الإسلامية العالمية، والذين يدعمون إقامة الخلافة. هذه الظاهرة تشير إلى فشل الغرب بالحصول على سيطرة عقائدية على المسلمين الذين يعيشون في عقره. وسيزداد الوضع سوءاً مع استمرار الحركة الإسلامية بالسعي لتحقيق ندائها العالمي.

لقد عيّن تضارب العقائد بين الإسلام والحضارة الغربية تاريخاً للإعلان عن الحرب غير المتناظرة بين الغرب والحركة الإسلامية والتي ستدوم لعدة أجيال. بينما سيكون هنالك نهاية للحرب على الإرهاب، حيث سيتوقف الصراع الذي يشنه الجهاد مع الأنظمة في العالم الإسلامي والذي امتد للغرب مع ولادة الخلافة. ومن هناك، سيتحول الصراع إلى شكله الأكثر تقليدياً.

إن السياسة التي تقوم على مهاجمة فكرة الخلافة بربطها بالعنف السياسي لحركة الجهاد لن يزيل مشروعيتها المستمدة من القرآن. قد لا يتفق العالم الإسلامي تماماً مع الطرق المسلحة لحركة الجهاد، إلا أنه لا نقاش حول مشروعية الخلافة في القرآن. ولدى الحركة الإسلامية التي تحمل المنطق السياسي وعدم اللجوء للعنف نداء أعمق وأوسع، حيث تعتبر الراعية لفكرة إحياء الخلافة. ويعتبر أي هجوم على الخلافة هجوماً على الإسلام.

والمطلوب هنا هو تغيير جذري في الدوائر الأكاديمية والسياسية في الغرب فيما يتعلق بالإسلام. يجب أن يتجاوز الحوار الغربي الموقف المصر لتجديد الإسلام وفقاً للحضارة الغربية بدون سلطة القرآن. فقد فشلت هذه المحاولة في العالم الإسلامي. إن التركيز على فكرة الخلافة وربطها بالإسلام المتطرف ومحاولة التصدي لهم عن طريق الحرب على الإرهاب سيؤدي فقط إلى غض النظر عن واقع فهم ديناميكية إحياء الإسلام. يجب أن يتم تقدير القرآن بشكل صحيح بدوره كمحرك أساسي للعالم الإسلامي، حيث يوفر لهم الطاقة لإعادة الخلافة، والذي سينتج عنها تحدٍّ للنظام العالمي. وليس لدى الغرب أي خيار سوى قبول حتمية الخلافة وتشكيل موقف واضح تجاه الإسلام، والذي سيقوم بدوره بتعريف عدم التوافق العقائدي هذا بين الاثنين. ويبدو أن العالم الإسلامي قد تبنى موقفه من الآن تجاه الغرب خاصةً مع ازدياد نجاح الجماعات الإسلامية وقبول الجماهير الإسلامية بوجودها ❑

١ـ توماس هوبس هو فيلسوف إنجليزي من القرن السادس عشر، تنص نظريته على أن للناس الحق بالسعي وراء تحقيق مصالحهم ولو بأنانية، إلا أنهم قد يتخلون عن هذه الحقوق من أجل سعادة الجماعة.

الإساءة للرسول ﷺ

بين طاغوت الأمم المتحدة وأكذوبة حوار الحضارات!!

ناصر عبده اللهبي

تباينت ردود أفعال المسلمين من الإساءة للنبي الأعظم محمد ﷺ في جميع أنحاء العالم، وكانت هذه الردود مختلفة: منهم من دعا إلى مقاطعة البضائع، ومنهم من دعا إلى التظاهرات والمسيرات، وآخرون دعوا إلى طرد السفراء الغربيين، ومنهم من دعا إلى الصلاة والسلام على الرسول وإلى الذكر، والدعاء على المسيئين حتى يتم الاعتذار من الحكومات التي أساءت للرسول ﷺ، بينما دعت الأنظمة الحاكمة على لسان بعض رؤسائها ووزراء خارجيتها ومنظمة المؤتمر الإسلامي إلى إصدار قرار من (الأمم المتحدة) يدين الإساءات...

إن دعوة الأمم المتحدة لنصرة المسلمين ورسول الرحمة محمد ﷺ دعوة تضليل، فهيئة الأمم المتحدة نشأت أساساً على فكرة "رابطة الصليبيين المحاربين"، وقد وجدت هذه الرابطة عندما كانت الفتوحات الإسلامية من قبل دولة الخلافة العثمانية، وكانت المسألة الشرقية (وحدة المسلمين والجهاد من قبل دولة الخلافة العثمانية) تقض مضاجع الكفار الغربيين، فأوجدوا هذه الرابطة، ثم حولها وزير خارجية بريطانيا (إدوارد غري) إلى فكرة (عصبة الأمم) وتبناها بشكل كبير الرئيس الأميركي (وودرو ويلسون) الذي أراد أن يرى معاهدة فرساي تتضمن نصاً يدعو إلى إنشاء (المؤسسة الأممية) وتم بالفعل إدراج نص التأسيس في ١٩١٩/١/٢٥م في الجزء الأول من المعاهدة.

ثم عقدت عصبة الأمم اجتماعات لها ولكنها عجزت عن حل النزاعات الثانوية، وكذلك وقفت عاجزة في الكوارث الطبيعية، ولم يكن لها قوات مسلحة، وعدم وجود أميركا والاتحاد السوفيتي أعضاء دائمين فيها، وانسحاب إيطاليا واليابان منها، وخروج ألمانيا أيضاً منها، وعدم الاكتراث بباقي دول العالم، أي أنها لم تكن تعمل بالشكل المطلوب للغرض الذي قامت من أجله. وفي فترة الحرب العالمية الثانية تم التفكير جدياً بتحويلها من (عصبة الأمم) إلى (هيئة الأمم المتحدة) وعقدت المؤتمرات في عام ١٩٤٣م، وكان الذي سماها (هيئة الأمم المتحدة) الرئيس الأميركي (روزفلت) في

١٩٤٢/١/١م، وأصبح اسماً للحلفاء في الحرب العالمية.

وفي ١٩٤٥/٤/٢٥م عقد مؤتمر الأمم المتحدة لصياغة دستورها، وعقدت قبل ذلك مؤتمرات لتحديد أهدافها وأعضائها وميثاقها والعضوية فيها، وبعد أن صاغ الغربيون كل ذلك، ظهرت (الأمم المتحدة) إلى الوجود في ١٩٤٥/١٠/٢٦م، بعد تصديق الأعضاء الدائمين على دستورها وهم (الصين، فرنسا، بريطانيا، الاتحاد السوفياتي، الولايات المتحدة)، ثم صادق مجلس الشيوخ الأميركي في ١٩٤٥/٧/٢٨م على ميثاقها، وحدد مقرها في نيويورك مع فروع لها في أوروبا ومكاتب في بلدان أخرى.

إن الأمم المتحدة هي منظمة أنشأتها الدولة الكافرة وميثاقها مخالف للإسلام، ولم يكن في ميثاقها أيّ فكر من أفكار الإسلام، فالتحاكم إليها وإلى ميثاقها هو تحاكم إلى الطاغوت، ودعوة إلى تحكيم شريعة الكفر في الأرض، فالطاغوت هو (كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع)، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله).

قال المحقق ابن القيم في كتابه (إعلام الموقعين عن رب العالمين): «فهذه طواغيت الأرض إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها، رأيت أكثرهم عدلوا عن عبادة الله إلى عبادة الطاغوت، وعن التحاكم إلى الله وإلى رسوله إلى التحاكم إلى الطاغوت، وعن طاعته ومتابعة رسوله إلى طاعة الطاغوت ومتابعته... وهؤلاء لم يسلكوا طريق الناجين الفائزين من هذه الأمة وهم الصحبة ومن تبعهم، ولا قصدوا قصدهم بل خالفوهم في الطريق والقصد».

فلا عدل في ميثاق الأمم المتحدة، والعدل في شرع الله، ولهذا أمرنا أن نحكم بشرعه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ۝٥٨﴾[النساء ٥٨].

ولا يمكن تحقيق العدل إلا إذا حكم المسلمون بما أنزل الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ۝٤٩﴾[المائدة ٤٩].

وبصفتنا مسلمين يجب أن نرفض التحاكم إلى شرعة الكفر هذه، وليس لنا خيار إلا النزول عند أحكام الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ۝٦٥﴾ [النساء ٦٥].

كما ويجب أن ننبذ كل ما ليس من شرع الله، ونحكم بما أنزل الله في نفس اللحظة، فننبذ التحاكم إلى الديمقراطية والرأسمالية وميثاق الأمم المتحدة والهيئات

والمؤسسات والأنظمة والمفاهيم المنبثقة عنها، قال تعالى: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾[البقرة ٢٥٦].

والتبرؤ من موالاة ومناصرة القائمين عليها من الدول الكافرة، وأن لا نتخذهم أولياء، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾[المائدة ٥١].

إن الإسلام هو الدين الحق، وهو المنهج القويم، وهو صراط الله المستقيم، وإن الله الذي خلق الكون والحياة والإنسان هو الذي يعلم ما يصلح الإنسان وما يفسده، وما يضره وما ينفعه، ولهذا لا بد من وضع حد لهذه المنظمة الصليبية، التي وجدت ضد المسلمين وكانت قراراتها ضد المسلمين سواء فلسطين والعراق وأفغانستان وسوريا ولبنان وإيران أم في كشمير ودارفور وفي البوسنة وغيرها.

أما صراع الحضارات، فقد وجدت حملة كبيرة ضد صراع الحضارات، وقالوا لابد من (حوار الحضارات وحوار الأديان)، وأثبتت هذه الإساءات للمسلمين (تدنيس القرآن الكريم والإساءة للنبي العظيم) أن حقدهم على الإسلام والمسلمين كبير، وأن ما قالوه عن (حوار الحضارات) إنما هو هراء، لأن هناك اختلاف بين الحضارات، وهو أمر واقع لا سبيل إلى إنكاره، ولو لم يوجد الاختلاف بين الحضارات لما وجدت الأمم المختلفة في أفكارها وعقائدها ومفاهيمها وأخلاقها، ولما وجدت سنة التدافع للقضاء على الفساد والمفسدين، وهم يقولون بحوار الحضارات المبني على ثلاثة أمور:

١- المساواة بين أديان وحضارات المتحاورين دون استعلاء ولا تفضيل دين على آخر أو حضارة على أخرى.

٢- حد الحوار مقصور على مجرد معرفة ما عند الغير دون التعرض لنقضه أو إبطاله.

٣- تكوين بديل حضاري عن طريق الوصول إلى القواسم المشتركة بين الدينين والحضارتين.

إن محاولة التقريب بين الأديان أو مساواتها هو مفهوم كفر، إذ لا مساواة بين الحق والباطل، وبين الإسلام والكفر، وبين الخير والشر، وبين الضلالة والهدى، وبين ما وضعه العقل وما أنزله الله عز وجل، قال تعالى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الأنبياء ١٨]. وقال تعالى: ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[يونس ٣٢].

وعجباً لمن يدعي حوار الحضارات، ويسوي بين الإسلام والكفر، وبين الإلحاد والتثليث والتوحيد، وبين الإباحي ومن يحرم الفواحش، وبين عبادة الله وعبادة مخلوقاته، وبين السفاح والنكاح، وبين الخنزير وغيره، وأعجب منه، من يسكت عن التفضيل، فلا يفضل التوحيد على الشرك، ولا الحلال على الحرام، ولا الشرع على الطاغوت، ولا المؤمن على الكافر، ولا الديمقراطية على الشورى!!

فالتبعية مرفوضة، والمساواة مرفوضة، والسكوت عن تفضيل الإسلام وحضارته على سائر الأديان والحضارات مرفوض.

إن الصراع بين الإسلام وغيره من الحضارات قديم، وإن الإسلام سيظل في صراع مع الأديان والحضارات الكافرة حتى يسلموا أو يخضعوا لأحكامه، وقد صرح لنا القرآن والسنة بالكثير من الأمثلة على هذا الصراع، وظل المسلمون في صراع مع عقائد الكفر حتى جاءتنا بدعة (حوار الحضارات) بالرغم من أنها أكذوبة كبرى، فقد صارعنا الغرب بمفاهيمه كثيراً، ويحاول أن يسيطر على وسائل الإعلام ومناهج التعليم، ويغذي المفكرين والمثقفين بأفكاره، وينفق على الدورات والدراسات، وينشئ المؤسسات والمنتديات ومراكز الأبحاث، ويحارب أحكام الإسلام سواء ما يتعلق بالجهاد، أم المرأة، أم أحكام أهل الذمة، أم أحكام المعاملات والعقوبات في الإسلام، ويقوم بالتنصير، فأي حور فكري هذا؟!

أما الصراع الاقتصادي، فسيطرته على المواد الخام وجعل الدولار هو المتحكم وبديلاً عن الذهب، وجعل دول العالم الإسلامي مجرد أسواق استهلاكية لمنتجاته، وإغراق البلدان بالقروض الربوية، واستيعاب الخبرات والعقول من تلك البلدان، ووضع سياسات اقتصادية لتكبيل البلدان، واشتعال الحروب، وانعدام الأمن في الكثير من البلدان، وسيطرته على المصالح الاقتصادية، وتعيين جيوش له من العملاء الاقتصاديين، وفرض الحصار الاقتصادي، فهل بعد هذا كله نقول لا يوجد صراع اقتصادي؟!

أما من الناحية السياسية فبعد هدم دولة الخلافة الإسلامية سنة ١٣٤٢هـ، وإقامة دولة يهود في فلسطين وتمزيق الخلافة إلى دويلات كرتونية هزيلة، ووضع لكل دولة (مستقلة) من بلاد المسلمين –عضو في الأمم المتحدة- حدوداً وأعلاماً وجنسيات وجوازات وتأشيرات دخول، وتطبيق نظامه السياسي على شكل دساتير وقوانين، ومقاومة جميع الحركات المخلصة والتي تعمل على إعادة الإسلام إلى الحياة كدولة ونظام حكم ومحاربتها، وإنشاء الأمم المتحدة كرابطة صليبية لتحقيق أهدافه، فهل بعد هذا نقول لا يوجد صراع سياسي وحضاري؟!

أما الناحية العسكرية فقد احتل الغربيون بلاد المسلمين، ووضعوا قواعدهم وجيوشهم، ويجوبون البحار والمحيطات الإسلامية، ويفرضون سياستهم بقوة الحديد والنار، ومع هذا الواقع الأليم الذي يصارعنا به الغرب نجد من أبناء المسلمين من يقول بأنه لابد من (حوار حضارات)!!

لقد كشفت تلك الرسوم المسيئة للنبي محمد ﷺ أن القضية هي صراع بين الأديان والحضارات وليست حوار حضارات، وكشفت للمسلمين الوجه الحقيقي القبيح للغرب الكافر (اليهود والنصارى) وهذه الدعوات إلى الحوار إنما تدل على سذاجة – بعض المسلمين- الذين اتبعوا الغرب فيما ينعق به!! ❑

بين التطرف والإرهاب

حسن الحسن

أدت أحداث ٩/١١ إلى تغيير محوري واضطرادي في "سيكولوجيا" العالم، ما سمح لإدارة المحافظين الجدد في الولايات المتحدة الأميركية باستغلال الأجواء المشحونة عالمياً في تصفية حساباتها داخلياً وخارجياً، شارعة البدء بتنفيذ مخططها الهادف للتفرد في شؤون العالم، من خلال نشر قواتها العسكرية في نقاط تمركز استراتيجية حول العالم. احتلت العراق وأفغانستان وهددت بتغيير أنظمة أخرى، معلنةً بذلك بدء صياغة العالم الإسلامي في إطار خطتها لرسم شرق أوسط كبير جديد، بما من شأنه تحويله إلى مزرعة أميركية صرفة، مستعملة عناوين عريضة وفضفاضة لتحقيق ذلك، مثل نشر الديمقراطية، ومكافحة الإرهاب، والقضاء على الإرهاب.

لقد أبقيت هذه المصطلحات غامضة عن عمد؛ وذلك لاستثمارها في أنجع طريق لتحقيق أهداف الولايات المتحدة الأميركية. وسنت التشريعات القاسية بحجة القضاء على (الإرهاب)، من غير اتفاق على تعريف محدد له. والواقع أن ضبط تلك المصطلحات ليس في صالح القوى الكبرى وعلى رأسها أميركا؛ لأن ذلك سيكون بمثابة بناء قواعد للمحاسبة، وهذا ما لا تريده القوى الكبرى وبخاصة أميركا؛ لأنها ترى لنفسها الحق بالتصرف من غير ضوابط سوى ما تمليه عليها مصالحها. وفي هذا السياق أصر رئيس الوزراء البريطاني توني بلير على إبقاء مقترح قانون تمجيد الإرهاب عاماً مجملاً لنفس الأسباب، ما دعا مجلس اللوردات إلى رد القانون مرتين على رغم تبنيه من قبل مجلس العموم لحاجته إلى توضيح وتحديد مضمونه، وهو ما لا يتناسب مع أجندة حكومة بلير التي وضعت نصب عينيها تصفية كل من يؤرقها ويسير في عكس تيارها، مهددةً بتجريمه تحت طائلة ذلك القانون الغامض.

ولو وضعنا التعاريف البديهية للمصطلحات مدار البحث في سياقها الطبيعي، لوجدنا أن الإرهاب، كما صاغه أكثر من مجمع قانوني، هو الاعتداء على أهداف مدنية بغية تحقيق مآرب سياسية، وأن التطرف محور الحديث هو ذلك الذي يدفع إلى استعمال العنف المادي ضد كافة الأهداف المتاحة ولو كانت مدنية أو محايدة؛ من أجل تحقيق عقيدة ما. وبما أن هذين التعريفين لا يشبعان رغبة الدول الغربية، حاولت تلك الحكومات أن تبقى تلك

المصطلحات مفتوحة على مصراعيها، كي تبقي طاحونة الصراع دائرة في الاتجاه الذي يحقق لها أهدافها. وعلى الرغم من أن المضامين السابقة أساسية لتعريف الإرهاب والتطرف المجَرَّمَيْن، إلا أن إعلان الدول الكبرى تبنّي تلك المفاهيم يضر بمصالحها؛ لذلك أبت توثيقه في الأمم المتحدة، كما يرجع ذلك الرفض في جزء منه أيضاً إلى كون الحكومات الرأسمالية الكبرى تنطبق عليها تماماً مواصفات الإرهاب والتطرف الإجراميتين. فكم مدنياً قتلت الولايات المتحدة وحليفتها بريطانيا في العراق وأفغانستان، كذلك فعلت روسيا في الشيشان، واقترفت فرنسا في العديد من البلدان، هذا فضلاً عن تدمير مدن بأكملها وإعاقة التنمية فيها بغية إبقائها أسيرة الدول الاستعمارية، من غير إغفال معسكرات الترويع والتعذيب والقتل والاغتصاب كما في باغرام وغوانتانامو وأبو غريب وغيرها.

ولهذا فإن استعمال تلك المصطلحات بهذا الشكل المجمل المفتوح مقصود به الاستهلاك للأجواء العالمية المفعمة بالمآسي والأحزان والقلق والاضطرابات؛ لخدمة مصالح سياسية معينة من قبل الدول الرأسمالية الكبرى، في عالم تحكمه القوة لا القانون ولا الحق. فالقوى الكبرى لا تتطلع سوى إلى مصالحها، بغض النظر عن التعاريف والمبادئ والقوانين الدولية والأخلاقية؛ ولذلك رأينا مثلاً الدعوة إلى "الديمقراطية" في الشرق الأوسط مشروطة بأن تفرز الانتخابات من يرضي الإدارة الأميركية ويقبل السير في ركابها وبحسب رغباتها، وإلا فإن "الديمقراطية" لا تتسع له، ويوصف حينئذ بالتطرف والإرهاب، بغض النظر عن حجم شعبيته.

هذا ملخص هذه الأفكار التي رفعها الغرب كرايات اتخذها شعارات له؛ لحسم صراعه مع العالم الإسلامي، ولترويضه بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، مبتغياً القضاء على الإسلام في نفوس الأمة قبل أن يتحول ذلك الإسلام إلى قوة فعلية على الأرض، بتشكله في دولة الخلافة التي تمثل الأمة لا فئة من فئاتها. وفي ظل غياب رسمي لمجابهة تلك الهجمة الشرسة، تقتصر تلك المواجهة في الأمة على أفراد ومنظمات متفرقة متباينة، بينما تنغمس الأنظمة السياسية التي تتولى مقدرات الأمة في اللعبة بحسب تلك الشعارات لإرضاء الغرب، مستفيدةً من الترويج لتلك السيمفونية الخبيثة عن الإرهاب والتطرف للحفاظ على مراكزها وترسيخ هيمنتها على شعوبها. والحقيقة هي أنه لن يستطيع أحد أن يعمم ويطبق قوانين ترفع الظلم عن الإنسان بغض النظر عن جنسه ولونه ودينه سوى الإسلام مجسداً بدولة الخلافة. فالإسلام وحده هو الكفيل من خلال دولة الخلافة بالقضاء على إرهاب الدول وتطرفها، فضلاً عن إرهاب الأفراد وتطرفهم ❑

السجن زاده رسوخاً بأفكار حزب التحرير

ذكرت الشرق الأوسط في ٢٠٠٦/٣/٦م أن البريطاني ماجد نواز من حزب التحرير، وبعد الإفراج عنه من القاهرة بعد أربع سنوات قضاها في السجن هناك لترويجه لأفكار الحزب أثناء دراسته في الإسكندرية. وأشار نواز إلى «أن محنة السجن لمدة أربع سنوات لم تؤثر في انتمائه لحزب التحرير، بل زادته ثباتاً ورسوخاً بأفكاره». وقال نواز الذي يتحدث العربية الفصحى وكذلك اللهجة المصرية بطلاقة، بعد أربع سنوات قضاها في سجن مزرعة طرة، إنه ذهب إلى الإسكندرية لتعلم اللغة العربية، بعد دراسته في جامعة لندن لمدة عامين، ولكنه وجد نفسه في خضم السجن والاتهام ❑

هدية مشرف إلى بوش إثر زيارته لباكستان

نشرت الحياة في ٢٠٠٦/٣/٥م أن بوش أشاد في إسلام آباد أمس بـ«القرار الشجاع» الذي اتخذه مشرف بالانضمام إلى الحرب على الإرهاب بعد اعتداءات ٩/١١. وأكد بوش في مؤتمر صحافي مشترك عقده مع مشرف أنه اقتنع بالتزام الرئيس الباكستاني خوض الحرب على الإرهاب، وتقديم إرهابيي تنظيم «القاعدة» وحركة «طالبان» الأفغانية إلى العدالة. وطالب بوش بتحسين تبادل المعلومات الاستخباراتية بين الولايات المتحدة وباكستان «باعتبارها الوسيلة الأفضل لإلحاق الهزيمة بالقاعدة». كلام بوش هذا جاء عقب تقديم مشرف هدية لبوش هي عبارة عن مقتل ٤٠ شخصاً قال إنهم من أعضاء القاعدة عقب هجوم بري وجوي في «ميرانشاه» البلدة الرئيسية في إقليم وزيرستان. ودعا الرئيس الأميركي القوات الباكستانية إلى التحرك بسرعة، مشيراً إلى أن إدارته ستسعى إلى منح مزيد من المعدات العسكرية إلى باكستان (فقط من أجل ضرب الإسلام) لكنه استبعد التعاون مع باكستان في مجال الطاقة النووية السلمية، على غرار ما حصل مع الهند التي أبرم اتفاقاً معها في هذا الشأن الخميس في ٣/٢. وقال باكستان والهند دولتان مختلفتان في الحاجات والتاريخ». هكذا بكل صفاقة يصرح بوش أمام مشرف أنه يريد التعاون النووي مع الهند ويستبعده مع باكستان لأن باكستان تختلف في الدين، من غير أن تتحرك في مشرف شعرة في بدنه غيرة على دينه وشعبه. ترى لماذا لم تتحرك؟ الجواب معروف. إن الأمة هي التي عليها أن تتحرك أولاً لتخلعه وثانياً لوضع حد للصلف والاستكبار الأميركي ❑

مدير الـ(سي أي آي) في القاهرة

ذكرت الشرق ال،سط في ٢/٢٧ أن مدير وكالة المخابرات المركزية الأميركية بورتر غوس وصل إلى القاهرة مساء أمس فجأة، في أول زيارة له لمصر منذ شغله مهام منصبه منتصف عام ٢٠٠٤م خلفاً للمدير السابق جورج تينيت. وتتناول محادثات غوس التي تحيطها السفارة الأميركية في القاهرة بالسرية، دعم العلاقات بين القاهرة وواشنطن في المجالات الأمنية. ومن المتوقع أن يلتقي بورتر مع رئيس

المخابرات المصرية عمر سليمان. يذكر أن مدير وكالة المخابرات المركزية السابق جورج تينيت كان قد زار مصر في ١٧ يونيو (حزيران) من العام قبل الماضي بعد أيام من استقالته من منصبه، والتي تمت في الأسبوع الأول من يونيو عام ٢٠٠٤م، حيث التقى مع الرئيس مبارك، ولم يدل بأي تصريحات عقب اللقاء. ويشار إلى أن المنسق الأميركي لشؤون مكافحة الإرهاب هنري كرامتون بدأ زيارة لمصر أول من أمس، والتقى مع كل من وزير الداخلية اللواء حبيب العادلي ووزير الخارجية أحمد أبو الغيط، وسيلتقى مع وزير العدل خلال زيارته للقاهرة التي تستمر ٣ أيام.

أليس لهذه الزيارات دلالة على عمق علاقة وعمالة حكام مصر لأميركا ❑

بلير: الله هو الذي سيحاسبني

ذكرت الشرق الأوسط في ٣/٥ أن رئيس الوزراء البريطاني توني بلير قال، في عبارات فاجأت الكثيرين، أمس: إن الله هو الذي سيحاسبه على قراره بإشراك بلاده في الغزو إلى جانب الولايات المتحدة. وفيما انتقد بعض ذوي الجنود البريطانيين الذين لقوا مصرعهم في العراق حديثه عن الدين معتبرين أنه يتهرب من «خطأ استراتيجي جر بلاده إليه»، اعتبر معلقون أن بلير انتهك قاعدة بريطانية ذهبية لأن مواطنيه عموماً «يرتابون في السياسيين الذين يتحدثون عن الدين». ودأب مساعدوه في الماضي على منع الإعلام من تسليط الضوء على إيمانه المسيحي. ورأت المجلة الكاثوليكية كريتسينا أودوني أن إيمان بلير شبيه بإيمان الواعظين الأميركيين المتشددين الذين يجنون الملايين ممن «يمتهنون» الدين ❑

بوش يواجه إعصاراً سياسياً بسبب إهماله إعصار كاترينا

ذكرت الشرق الأوسط في ٣/٣ «أن بوش يواجه ما اعتبر بمثابة «إعصار سياسي» بعد بث شريط فيديو يؤكد أنه كان على علم مسبق بخطورة الإعصار «كاترينا» المدمر، قبل أن يضرب ولاية نيو أورليانز في أغسطس (آب) الماضي. ويشير الشريط بوضوح إلى أن مايكل براون مدير الوكالة الفدرالية لإدارة الأزمات الذي أقاله الرئيس الأميركي، أبلغ بوش بخطورة الإعصار كاترينا قبل أن يضرب نيو أورليانز. وقال البيت الأبيض وقتها إن براون نحّي عن منصبه بسبب المشكلات التي شابت عمليات الإغاثة بعد الإعصار، وقد تعرض براون لانتقادات حادة بشأن رد فعل الحكومة الفدرالية تجاه الكارثة. وقال مايكل براون لوكالة أسوشييتدبرس للأنباء أنه حريص على العودة إلى واشنطن «لتصحيح المعلومات غير الدقيقة والأكاذيب التي تقال». وانتقد وزير الخارجية الأميركي السابق كولن باول البطء في إطلاق عمليات الإغاثة وقال إنه كان هناك فشل وتقصير على عدة مستويات، على المستوى المحلي، وعلى مستوى الولايات، وعلى المستوى الفدرالي. وأظهر أحدث استطلاع للرأي أن غالبية الأميركيين من أصول أفريقية يعتقدون أن رد فعل الحكومة الأميركية

كان سيتميز بالسرعة لو أن غالبية المتضررين كانوا من البيض. إلا أن باول رفض هذه الفكرة قائلاً إن غالبية الأميركيين من أصول أفريقية لم يحصلوا على الحماية اللازمة لأنهم فقراء وليس لأنهم سود». هذه هي الحضارة الرأسمالية اللاإنسانية التي يتشدق بها الغربيون ❑

برامج غسيل دماغ السجناء الأصوليين

ذكرت الشرق الأوسط في ٣/١٠ أن قائد الشرطة الاتحادية الأسترالية دعا السلطات إلى بحث فكرة وضع برنامج تعليمي للسجناء الأصوليين المتشددين، لكن المدافعين عن الحريات المدنية وصفوا ذلك ببرنامج غسيل المط. وصرح ميك كيلتي بأن مثل هذه البرامج مطبقة بالفعل في إندونيسيا وباكستان وسريلانكا وسنغافورة وبريطانيا، وثبت فعاليتها في إبعاد الناس عن التطرف، لكن المجلس الأسترالي للحريات المدنية سارع إلى مهاجمة الخطة قائلاً إن عقوبة من يدان بارتكاب جرائم يجب أن تترك للمحكمة لا للشرطة. وقال كاميرون ميرفي المتحدث باسم المجلس لرويترز: «هذا شيء يجب ألا يحدث في دولة ديمقراطية، هذه نفس الأشياء التي تمارسها النظم الشمولية، وليس دور الحكومة أن تفرض وجهات نظرها على المواطنين». وطرحت فكرة برنامج إعادة التعليم بعد أن حضر كيلتي الأسبوع الماضي مؤتمراً أمنياً إقليمياً في العاصمة الإندونيسية جاكرتا. وصرح كيلتي بأن البرنامج سيطبق بمشاركة رجال دين ومتشددين عدلوا عن هذا الطريق لإقناع المتعاطفين مع المتشددين بالعدول عن طريق التطرف، وقال لتلفزيون هيئة الإذاعة الأسترالية: «هذا سيفتح أيضاً فرصة للحصول على معلومات لن تتوفر بخلاف ذلك». وصرح ألكسندر داونر وزير الخارجية الأسترالي بأن مثل هذه البرامج التعليمية حققت نجاحات في بعض القضايا في الخارج. ويعيش في أستراليا نحو ٢٨٠ ألف مسلم، يعيش أغلبهم في مدينة سيدني. ووضع عدد من الأستراليين في السجن بموجب قوانين مكافحة الإرهاب، ومن بينهم ١٧ اعتقلوا في نوفمبر (تشرين الثاني) وينتظرون محاكمتهم بتهمة التآمر لشن هجوم والانتماء إلى منظمة محظورة ❑

جندي بريطاني يعترف... بعدم أخلاقية الحرب في العراق

ذكرت الشرق الأوسط في ٣/١٣ أن جندياً بريطانياً قرر الانسحاب من صفوف الجيش بعد أن رفض المشاركة في المهام القتالية في العراق لأسباب أخلاقية؛ لأن القوات الأميركية تلجأ إلى تكتيك «غير مشروع» على الأرض. وفي مقابلة مع صحيفة «صنداي تلغراف» وضع بن غريفين حداً لحياته المهنية في المجال العسكري بعد أن خدم في العراق لمدة ثلاثة أشهر. وغريفين، ٢٨ عاماً، الذي ترك صفوف الجيش في يونيو (حزيران) الماضي هو أول جندي في سلاح الجو يرفض المشاركة في المهام القتالية لأسباب أخلاقية. وتحدث غريفين عن عمليات مشتركة مع القوات

الأميركية لقمع المتمردين في العراق وقال: «كنا نتصل بمقرنا العام للقول بأننا لن نعتقل بعض الأشخاص؛ لأنهم لم يشكلوا في نظرنا أي تهديد كونهم من المسنين أو المزارعين، لكن الأميركيين كانوا يقولون: كلا عليكم اعتقالهم». وأشار غريفين إلى عملية أخرى تم خلالها اعتقال مجموعة من المدنيين الأبرياء الذين لم تكن لهم أي علاقة بالمتمردين. وقال: «لم أفهم لماذا قمنا بذلك، فسألت قائدي: هل كان تصرفنا بالطريقة نفسها في البلقان أو آيرلندا الشمالية؟ فأجابني: إننا في العراق، وقلت: أهذا مسموح لأننا في العراق؟». وتابع غريفين أنه يعتقد أن القوات الأميركية لا تحترم العراقيين إطلاقاً. وأضاف «يمكن تقسيم الأميركيين إلى مجموعتين: فئة مهمتها قتل العراقيين، وفئة أخرى أتت إلى العراق لأن الجيش كان سيتكفل دفع تكاليف تحصيلهم الجامعي». وأوضح «لم يكن لديهم أي اهتمام أو إلمام بالثقافة العربية. كان الأميركيون يتكلمون مع العراقيين وكأنهم أغبياء، ولم تكن هذه حالات منفردة، بل كان هذا الموقف من رأس الهرم حتى أسفله» ❑

الأميركيون والإسلام

أجرت صحيفة «واشنطن بوست» وشبكة (أي بي سي) التلفزيونية استطلاعاً يقول إن ٤٦% من الأميركيين لديهم نظرة سلبية إلى الإسلام، وذكر الاستطلاع أن أميركياً من ثلاثة سمع آراء متحيزة في حق المسلمين. وأكد ٤٣% سماعهم ملاحظات سلبية عن العرب، بينما أقرَّ أميركي من كل أربعة بإطلاقه أحكاماً مسبقة في حق المسلمين. هذه الاحصائيات هي برسم المنادين بحوار الحضارات لعلّهم يزدادون غفلة ❑

فرق الموت العراقية!

كثُر الحديث عن فرق الموت العراقية، وتواترت التهم الموجهة إلى وزارة الداخلية وإلى بيان جبر بالذات، ثم إلى الميليشيات التي تدربت في إيران. وفي يوم ٢٠٠٦/٣/٨م تم اختطاف ٥٠ موظفاً من شركة الروافد للخدمات الأمنية وسط بغداد (وليس في الصحراء) وأكدت مصادر عراقية لوسائل الإعلام أن قوات المغاوير التابعة للداخلية هي من قام بذلك، وأكدت تلك المصادر أن الخاطفين استعملوا عربات المغاوير وألبستهم، وتساءل اللواء رشيد فليح آمر قوات المغاوير عن كيفية خطف الموظفين دون إطلاق رصاصة واحدة، أو دون الاتصال بوزارة الداخلية. ويؤكد معن الجبوري (مستشار وزير الدفاع) أن عمليات الخطف والتصفية التي تعرض لها كبار المسؤولين في الجيش كشفت خروقات أمنية كبيرة في الوزارة، وكان آخرها عملية اغتيال اللواء الركن مبدر الدليمي التي تمت بطريقة محيرة. حيث أن العناصر المسؤولة تقول: وتتحدثون يا سادة عن الزرقاوي والتكفيريين، فالذين استحوا ماتوا؟! فهؤلاء لا يتجاوزون نقطة في بحر عملاء أميركا الرسميين في قمة الهرم العراقي الديمقراطي جداً ومن العيار الثقيل ثقل من عشرة أطنان!! ❑

بين الرسام والمؤرخ

رسام الكاريكاتير الدنماركي كان يمارس حرية التعبير حينما أساء إلى رسول الله محمد ﷺ سيد الأنبياء والمرسلين. أما المؤرخ البريطاني ديفيد إرفينغ فقد اعتدى على اليهود الإرهابيين لأنه أنكر حصول المحرقة النازية رغم تراجعه عام ١٩٩١م عما قاله عام ١٩٨٩م، واتُهم بأنه مزوّر للتاريخ، وحُكم عليه في النمسا أي خارج بلده الأصلي بالسجن ثلاث سنوات، وهكذا تثبت دول الغرب كل يوم أنها ظالمة، ومجرمة، وبعين واحدة، وتكيل بعشرات المكاييل، ثم يتشدقون بحوار الحضارات وحوار الأديان وحقوق الإنسان والديمقراخية الفاسدة التي أزكمت رائحتها الأنوف الطاهرة ❑

التصريحات والانتخابات

يقوم الطامحون من زعماء الأحزاب (الإسرائيلية) بدغدغة مشاعر الناخبين اليهود من خلال قتل بعض أهل فلسطين، واغتيال البعض الآخر، والقيام بأعمال ذات فرقعة إعلامية مثل فضيحة سجن أريحا. أما البعض الآخر من زعماء اليهود مثل رئيس حزب (إسرائيل بيتنا) واسمه أفيغدور ليبرمان فهو يتولى التفوُّه بكلمات وأفكار عنصرية على مشارف الانتخابات حيث بدأ الترويج «للتهجير الطوعي» الترانسفير، وتبادل الأراضي باعتبار ذلك الشعار هو برنامجه الانتخابي، هذا اليهودي هو مهاجر جديد من الاتحاد السوفياتي، فما بالك بالمهاجرين القدامى الذين يطالبون بـ(خلو رجل) للخروج من معسكرات (المستوخنات) التي تضم القطعان الشاردة ❑

رامسفيلد والحرب الأهلية في العراق

في شهادته أمام الكونغرس الأميركي في ٣/٩ قال إن لديه خطة لمواجهة الحرب الأهلية في العراق، والتي ستلعب القوات العراقية بموجبها الدور الرئيسي بدعم من الجيش الأميركي، وأن خطته تقوم على منع وقوع حرب أهلية شاملة في العراق لكن إذا وقعت ستتعامل معها قوات الأمن العراقية بدعم من القوات الأميركية. وقال جون أبي زيد «إن التمرد في العراق يتغير في اتجاه العنف الطائفي» يبدو أن هذه تصريحات من يتمنى حصول الفتنة ❑

كلهم مجرمون

كشف معتقل سابق في سجن أبو غريب لشبكة تلفزيون إيطالية عن وجود إيطاليين بين عناصر الاستجواب في السجن، وقال المعتقل العراقي علي القيسي: إن كل السجون العراقية تخضع لسيطرة الأميركيين الذين يوظفون بموجب عقود «مرتزقة من دول مختلفة، ونشرت أخبار التعذيب العديد من الصحف الإيطالية، وعاد الجدل هناك عن جدوى نشر قوات إيطالية في العراق، وأدرجت أيضاً ضمن البرامج الانتخابية للمرشحين ❑

عملية سجن أريحا تكشف عباس

خالب عدد من الشخصيات الفلسطينية الرئيس محمود عباس بالاستقالة على خلفية

اقتحام (إسرائيل) لسجن أريحا. وجاء في الرسالة التي وقعها ١٣ شخصاً بينهم بسام الشكعة وأساتذة جامعات آخرين: «مطلوب من السيد محمود عباس أن يكون جريئاً وواضحاً ويتكلم وفق ما يتطلبه هذا التقصير الخطير الذي أتى علينا جميعاً بالعار، وأن يتحلى بالشجاعة والاستقالة. وطالبت مجموعة من حركة فتح الرئيس عباس بحل السلطة الفلسطينية ❑

التآمر الأميركي البريطاني

كشف محمود عباس عن رسالة وصلته من القنصلين الأميركي والبريطاني في القدس في الثامن من آذار تتضمن تلميحاً إلى سحب المراقبين الأميركيين والبريطانيين من سجن أريحا الذي اقتحمه الجيش (الإسرائيلي). وجاء في نهاية الرسالة: «إذا لم تلتزم السلطة الفلسطينية بأية ترتيبات أمنية كاملة في ما يتعلق بالأمن الشخصي للمراقبين العاملين في أريحا، وإذا لم تتجه السلطة إلى اتفاق جديد مع الحكومة الإسرائيلية، فنحن سنوقف تدخلنا في ترتيب الرقابة في سجن أريحا وسنسحب مراقبينا» أما أبو مازن فقد تكتم على الرسالة ولم يتحدث عنها إلا بعد حصول التدمير للسجن وسرقة المسجونين فيه. ومن جهة أخرى كشف محامي سعدات قوله: إن حصار الجيش الإسرائيلي للسجن حصل قبل انسحاب المراقبين ❑

المعتقلين الأشباح

عبّرت منظمة (هيومن رايتس ووتش) عن قلقها لغياب المعلومات عن المعتقلين لدى وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية الذين لم تنشر أسماؤهم في اللائحة التي صدرت في أوائل آذار من هذا العام. وقالت المسؤولة في المنظمة: «مع أننا أصبحنا نعرف أسماء عدد من معتقلي غوانتانامو، لكن ذلك ليس سوى جزء صغير من الصورة، فهناك أشخاص آخرون معتقلون، ونعتقد أن الولايات المتحدة تحتجز أشخاصاً لم تؤكد اعتقالهم، إنهم هؤلاء الذين نطلق عليم اسم المعتقلين الأشباح، إن احتجاز شخص ما يَفرض كشف اعتقاله بعد فترة من الزمن لكن هؤلاء اختلفوا». وتؤكد هذه المنظمة أن الاستخبارات الأميركية تعتقل عدداً من الأشخاص المجهولين في أماكن سرية ❑

تجسس النواب

كشف نائب بريطاني لصحيفة تايمز أن عناصر في استخبارات بلاده جنّدوه ليستجوب عالمة الجراثيم العراقية (رحاب طه) للحصول على معلومات عن برنامج عراقي محتمل لأسلحة الدمار الشامل قبل غزو العراق عام ٢٠٠٣م. وقال النائب أنه أُرسل إلى مكان سري في الشرق الأوسط للقاء رحاب طه التي اعتقلت مع مسؤولي النظام العراقي السابق وتم الإفراج عنها في ١٦ كانون الأول الماضي، وقال إن الاستخبارات البريطانية طلبت منه استجواب رحاب طه لأنه استاذها السابق حينما كانت في مرحلة الدكتوراه في علم الجراثيم ❑

قوات أميركية سرية

ذكرت خدمة نيويورك تايمز في ٣/٨ أن

الجيش الأميركي قرر توزيع مجموعات صغيرة من فرق العمليات الخاصة يطلق عليها اسم «عناصر الاتصال العسكري» في عدد من السفارات الأميركية لجمع معلومات استخباراتية متعلقة «بإرهابيين» في أجزاء غير مستقرة من العالم، وذلك للتحضير لمهمات تهدف إلى تعطيل عملياتهم أو اعتقالهم أو قتلهم، وأن المهمة ستدوم لمدة سنتين، وأطلقها دونالد رامسفيلد لتفعيل دور الجيش الأميركي في مجال الاستخبارات. وأضافت «خدمة نيويورك تايمز» أنه تم إرسال مجموعات صغيرة إلى أكثر من ١٢ سفارة في أفريقيا وجنوب شرقي آسيا وأميركا الجنوبية ❑

مدارس أستراليا السياسية

تقوم مئة مدرسة في أستراليا بتدريس كتاب يقارن الصليبيين في القرون الوسطى بمنفذي هجمات ١١ أيلول ٢٠٠١م، ويذكر الكتاب أن المنتسبين إلى المجموعتين يؤمنون بأنهم ماتوا من أجل دينهم، ويطرح السؤال التالي: هل من العدل القول إن الصليبيين الذين هاجموا السكان المسلمين في القدس كانوا إرهابيين أيضاً؟ وقام مؤرخون أستراليون بانتقاد الكتاب بادعاء أنه يشوش التاريخ في ظل عدم تضمنه تفاصيل كاملة عن معطيات الحملات الصليبية. ودافع مسؤولو المدارس عن خطوتهم بتدريس هذا الكتاب بالقول: إن اختيار هذا الكتاب يعزز التفكير النقدي والتحليل والنقاش ❑

لماذا الرسوم المسيئة؟

هناك رأي يفسر ما حصل في الدنمارك من رسوم مسيئة للرسول ﷺ بأنه ناتج عن مقاطعة محافظة (سورترونديلاغ) في النرويج للبضائع (الإسرائيلية) احتجاجاً على العنف الذي تمارسه (إسرائيل) في فلسطين المحتلة (الضفة وغزة)، ولقي ذلك القرار دعماً من أحزاب تحالف اليسار الاشتراكي وحزب الوسط، ثم من منظمة عمال النرويج، ومن رابطة عمال النقل. وهذا ما يفسر تأخر ردود فعل المسلمين على الرسوم عدة شهور، فالرسوم حصت في أيلول ٢٠٠٥م وردة فعل المسلمين حصلت في كانون ثاني وشباط ٢٠٠٦م، أما مقاطعة البضائع (الإسرائيلية) فقد اتخذ قراره في كانون أول ٢٠٠٥م. أي أن أصحاب هذا الرأي الذي نشر في بعض الصحف مثل الحياة ونشر على الإنترنت يؤكدون أن الرسوم المسيئة حصلت في أيلول ولم يتحرك الناس إلا بعد كانون أول أي بعد قرار مقاطعة البضائع (الإسرائيلية)، فهل استطاع اليهود إيقاع الوقيعة بين الدنمارك والمسلمين؟ ❑

أصعب من حقبة صدام

ما يجري في العراق تقشعر له الأبدان في ظل

حكم أميركي، وفي ظل حكام يترأسون أحزاباً إسلامية ويتحكمون بفرق الموت عبر وزارة الداخلية، وهذه بعض الأمثلة: تستقبل ثلاجات حفظ الموتى في بغداد عشرات الجثث التي انتشلت من الأنهار ومحطات الصرف الصحي ومواقع طمر النفايات والأراضي الزراعية والصحراوية، وغالبيتها لمدنيين كُبّلت أيديهم وعصبت أعينهم مع رصاصة أو أكثر في الرأس. الأصفاد شبيهة بتلك التي تستخدمها الشرطة العراقية، والمداهمات تشبه مداهمات القوات النظامية، واللباس هو نفسه، والسيارات نفسها، وأجهزة الاتصال نفسها، ويقول عدنان الدليمي (رئيس مؤتمر أهل العراق) لصحيفة الحياة ٢/١٩: «جميع عمليات التصفية الجسدية التي استهدفت أئمة المساجد السنية وعلماء الدين وغيرهم كانت على أيدي مفارز من الشرطة المحلية أو الحرس الوطني، وهم يرتدون زي الشرطة والحرس الوطني، ويأتون في سيارات تحمل علامات الشرطة» وأشار إلى حصول ٥٠ عملية اغتيال بحق أبناء السنة في مدينة الشعلة وحدها، حيث تحول مستشفى الشعلة إلى مصيدة حيث تعمل دورية رسمية ترابط هناك على اعتقال أئمة المساجد وغيرهم من زوار المستشفى؛ ليتم العثور على جثثهم بعد أيام في أماكن مختلفة. فهل كان صدام بهذا المستوى من الإجرام يا ترى؟! ❑

حرب فيتنام مزيفة أيضاً

لم تكن الحرب ضد العراق وحدها مزيفة، بل حرب فيتنام أيضاً كانت مزيفة. وفي كانون الأول عام ٢٠٠٥م ذكرت معظم الصحف الأميركية وفي مقدمتها «واشنطن بوست» و«نيويورك تايمز» أنه ثبت رسمياً بأن مبررات شن الحرب على فيتنام الشمالية عام ١٩٦٤م كانت مزيفة وغير صحيحة، وجرت عملية التزوير من قبل أجهزة الأمن والبنتاغون من أجل تدمير فيتنام الشمالية، ويقول (كالفين وودورد) من أسوشييتدبرس إن إدارة الرئيس جونسون قامت في آب ١٩٦٤م بشن الحرب بعد الادعاء بأن البحرية الفيتنامية شنت هجوماً استفزازياً ضد المدمرات البحرية الأميركية الموجودة قرب سواحل فيتنام، وثبت من الأوارق الرسمية السرية لوكالة الأمن القومي الأميركي أن المخابرات الأميركية لفّقت قصة مهاجمة زوارق حربية فيتنامية للمدمرات الأميركية في خليج تونكي؛ لأجل إقناع الكونغرس بالمصادقة على قرار الرئيس جونسون بشن حرب لا هوادة فيها ضد فيتنام، تلك الحرب التي دامت ١١ عاماً ❑

الأعمال الفكرية والأعمال المادية

في سيرة الرسول ﷺ

عماد عبد الفتاح الحسنات ــ القدس

ليس غريباً وأسلوباً جديداً في الصد عن سبيل الله الاستهزاء بحمَلة الدعوة الإسلامية لاستئناف الحياة الإسلامية بطريقة الرسول ﷺ بالأعمال الفكرية التي تقوم على الإقناع وبيان الحجج، والتنكر لهم بحجة عدم قيامهم بأعمال مادية من استخدام للقوة وعمل أشياء محسوسة ملموسة تطلب منهم وليست من طريقتهم، وذلك إما لحرفهم عن طريقتهم أو التقليل من شأن دعوتهم التي تقوم على الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة، وذلك بعد عجز خصومهم عن دحضها والطعن فيها لوضوحها وقوتها.

لقد استخدم هذا الأسلوب خصوم رسول الله ﷺ، وذلك أنهم لما عجزوا عن معارضة القرآن ولم يرضوا به معجزة، اجتمعوا عند ظهر الكعبة فكلموا رسول الله ﷺ وخاصموه وطلبوا منه أشياء ليست من طريقته ولا من دعوته حتى يعذروا فيه، فأجابهم إنما أنا بشر لا أقدر على شيء مما سألتموني، وليس لي أن أتخير على ربي، ولم تكن الرسل قبلي يأتون أممهم بكل ما يريدونه ويبغونه، وسبيلي سبيلهم، وكانوا يقتصرون على ما آتاهم الله من آياته الدالة على صحة نبوتهم، فإذا أقاموا عليهم الحجة لم يجب لقومهم أن يقترحوا غيرها، فبعد ذلك قام عنهم رسول الله ﷺ وقام معه عبد الله ابن أبي أمية، وهو ابن عمته وهو لعاتكة بنت عبد المطلب، فقال له: «يا محمد، عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم، ثم سألوك لأنفسهم أموراً ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل، ثم سألوك أن تأخذ لنفسك ما يعرفون به فضلك عليهم ومنزلتك من الله فلم تفعل، ثم سألوك أن تجعل لهم بعض ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل، أو كما قال له، فوالله لا أؤمن بك أبداً حتى تتخذ إلي سلماً ثم ترقى

فيه وأنا أنظر حتى تأتيها، ثم تأتي معك بصك معه أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول، وأيم الله لو فعلت ذلك ما ظننت أني أصدقك» (تفسير القرطبي ج: ١٠ ص: ٣٢٨).

وفي ظل الحملة الشرسة التي تشن على العاملين لإقامة الخلافة الإسلامية متأسين برسول الله ﷺ، تارةً بمحاولة إلصاق التهم بهم بالقيام بأعمال مادية، وتارةً بالاستهزاء بهم والإنكار عليهم عدم قيامهم بأعمال مادية ليست من طريقتهم، لا بد من بيان الأمور التالية:

أولاً: إن رسول الله ﷺ خير قدوة لنا يقتدى به في أفعاله التي ليست خاصة به، وخير أسوة يتأسى به في جميع أحواله، لابد من السير على طريقته وسنته ومنهاجه؛ لأنه على حق ويقين، ومنها طريقته في العمل لإقامة الدولة الإسلامية، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف ١٠٨]، وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب ٢١].

ومن الواضح في سيرة الرسول ﷺ أنه -فوق كونه رسولاً- قد مر في فترتين، فترة كان فيها ﷺ أميراً لكتلة سياسية تعمل للتغيير وإقامة دولة إسلامية، أي أنه يمثل حزباً. ففي هذه الفترة كانت أعمال كتلته ﷺ تقتصر على الأعمال الفكرية: من تثقيف بأفكار الإسلام، وإقناع الناس بها، وإقامة الحجة عليهم بأن المبدأ الذي جاء به هو وحده الذي يصلح لقيادة البشرية نحو السعادة وعز الدنيا ونعيم الآخرة، وأن ما عداه هو الباطل الذي يقود الناس إلى شقاء الدنيا والآخرة، وبيان زيف السياسيين ودجلهم وكشف مؤامراتهم، وإقناع أهل القوة والمنعة والتأثير والنصرة أن تكون نصرتهم وقوتهم ومنعتهم وتأثيرهم من أجل إعزاز دين الله وليس من أجل الباطل، وكان سلاحهم الوحيد هو قوة أدلتهم وظهورها على كل الحجج، ورغم أنهم كانوا مستضعفين لا قوة مادية لهم كانوا عزيزين بقوة إيمانهم، واثقين بنصر الله لهم، متوكلين على ربهم. ورغم أنهم كانوا يعذبون ويستضعفون ويظلمون ويفتنون عن دينهم مما يملي عليهم من ناحية عاطفية رد الظلم عن أنفسهم وقتال أعدائهم بأي وسيلة كانت، فإنهم لم يقوموا ككتلة بأي عمل مادي أو قتال، وإنما ساروا على طريقهم كما أمر الله. وفترة كان فيها ﷺ رئيساً للدولة الإسلامية أي أنه حاكماً يمثل دولة، وفي هذه الفترة قام بالأعمال المادية من قتال للأعداء ورعاية للشؤون بجانب الأعمال الفكرية، رغم أنهم كانوا قد صاروا آمنين غير مضطهدين، والناحية العاطفية تملي عليهم عدم القتال للتفرغ لبناء مجتمعهم ودولتهم. وكانت نقطة التحول بين الفترتين هي حصوله ﷺ على النصرة لدين

الله ببيعة العقبة الثانية وإقامة الدولة في المدينة، قال ابن اسحاق: «ثم إن مصعب بن عمير رجع إلى مكة، وخرج من خرج من الأنصار من المسلمين إلى الموسم مع حجاج قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة، فواعدوا رسول الله ﷺ العقبة من أوسط أيام التشريق حين أراد من كرامته والنصر لنبيه وإعزاز الإسلام وأهله وإذلال الشرك وأهله» (السيرة النبوية ج: ٢ ص: ٢٨٧، تاريخ الطبري ج: ١ ص: ٥٦١)، وعن محمد بن إسحاق المطلبي «وكان رسول الله ﷺ قبل بيعة العقبة لم يؤذن له في الحرب ولم تحلل له الدماء، إنما يؤمر بالدعاء الى الله والصبر على الأذى والصفح عن الجاهل. وكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه من المهاجرين حتى فتنوهم عن دينهم ونفوهم من بلادهم، فهم بين مفتون في دينه، ومعذب في أيديهم، وهارب في البلاد فراراً منهم، ومنهم من بأرض الحبشة، ومنهم من بالمدينة، وفي كل وجه. فلما عتت قريش على الله عز وجل، وردوا عليه ما أرادهم به من الكرامة، وكذبوا نبيه ﷺ، وعذبوا ونفوا من عبده ووحده وصدق نبيه واعتصم بدينه؛ أذن الله عز وجل لرسوله ﷺ في القتال والانتصار ممن ظلمهم وبغى عليهم»، (السيرة النبوية ج: ٢ ص: ٣١٣، تفسير القرطبي ج: ١٢ ص: ٦٩)، و قال ابن اسحاق «وكانت لبيعة الحرب، حين أذن الله لرسوله ﷺ في القتال، شروطاً سوى شرطه عليهم في العقبة الأولى، كانت الأولى على بيعة النساء وذلك أن الله تعالى لم يكن أذن لرسوله ﷺ في الحرب، فلما أذن الله له فيها وبايعهم رسول الله ﷺ في العقبة الأخيرة على حرب الأحمر والأسود أخذ لنفسه، واشترط على القوم لربه، وجعل لهم على الوفاء بذلك الجنة» (السيرة النبوية ج: ٢ ص: ٣٠٢)، وعن عبادة بن الصامت، وكان أحد النقباء، قال: «بايعنا رسول الله ﷺ بيعة الحرب» (مسند أحمد ج: ٥ ص: ٣١٦، فتح الباري ج: ١ ص: ٦٧)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال «لما أخرج النبي ﷺ من مكة قال أبو بكر: أخرجوا نبيهم، إنا لله وإنا إليه راجعون، ليهلكن. فأنزل الله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝٣٩﴾ [الحج ٣٩] قال: وهي أول آية نزلت في القتال» (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، الحاكم والترمذي)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما «أن عبد الرحمن بن عوف وأصحاباً له أتوا النبي ﷺ فقالوا: يا نبي الله، كنا في عز ونحن مشركون، فلما آمنا صرنا أذلة، فقال: «أني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا القوم» فلما حوله إلى المدينة أمره بالقتال فكفوا، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ﴾ [النساء ٧٧]» (الحاكم). وعن قتادة: «قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ فقرأ حتى بلغ: ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ قال: كان أناس من أصحاب رسول الله ﷺ، وهو يومئذ بمكة قبل الهجرة، تسرعوا إلى القتال، فقالوا لنبي الله ﷺ: ذرنا نتخذ معاول فنقاتل بها المشركين بمكة، فنهاهم نبي الله ﷺ عن ذلك، قال: «**لم أؤمر بذلك**» فلما كانت الهجرة وأمر بالقتال كره القوم ذلك، فصنعوا فيه ما تسمعون، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾﴾» (تفسير الطبري ج: ٥ ص: ٧١)، وفي تفسير «قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾ [الحج ٣٨]، روي أنها نزلت بسبب المؤمنين لما كثروا بمكة، وآذاهم الكفار، وهاجر من هاجر إلى أرض الحبشة، أراد بعض مؤمني مكة أن يقتل من أمكنه من الكفار، ويغتال ويغدر ويحتال، فنزلت هذه الآية إلى قوله ﴿كَفُورٍ﴾ فوعد فيها سبحانه بالمدافعة، ونهى أفصح نهي عن الخيانة والغدر» (تفسير القرطبي ج: ١٢ ص: ٦٧)

ثانياً: إن ذم الأفعال ومدحها والحكم على أفضليتها واتباعها يجب أن يكون بمقياس الشرع وبالدليل الشرعي، وليس بالأهواء والميول والشعارات، فيجب اتقاء الله في أوامره ونواهيه وعدم تضييعها، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر]، وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**دعوني ما تركتكم إنما أهلك من كان قبلكم سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم**» متفق عليه.

ولمعرفة الحكم الشرعي في الأقوال لابد من معرفة واقعها، فالأقوال من الأفعال، فهي ليست جميعاً متساوية، وإنما كل قول له حكم شرعي معين، فمن الأقوال ما هو فرض، ومنها المندوب، ومنها المحرم، ومنها المكروه، ومنها المباح. فمن الخطأ ذم الأقوال لمجرد أنها أقوال؛ لأن في ذلك مساواة بين الحق والباطل وبين الطيب والخبيث، يقول عز وجل: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فصلت ٣٣-٣٤]، فهناك من القول ما هو إثم وباطل كالتكذيب بدين الله الذي ابتعث به رسوله ﷺ وصد الناس عنه وعن كل ما أمر الله عز وجل به، وتحقير أحكام الإسلام والتقليل من شأنها، والاستهزاء بدين الله وأنبياء الله، ومعاداة الدعاة الى الله وإثارة الشبهات حولهم، والدعوة إلى موالاة أعداء الله والدفاع عنهم وستر عيوبهم، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾

هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [التوبة ٣٢-٣٣]، وكذلك قول الزور، وهو ما عدا الحق من دعوة أو مؤازرة لعلمانية، أو اشتراكية، أو ديمقراطية، أو وطنية، أو قومية، أو حريات، أو وحدة أديان، أو غير ذلك من أفكار مخالفة للإسلام، قال تعالى: ﴿ فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الحج ٣٠]، وهذا النوع من القول مذموم يجب التصدي له وبيان انحطاطه وزيفه ووجوب الابتعاد عنه مهما كان مصدره؛ لأنه يقود إلى النار، قال تعالى: ﴿ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [النساء ١٠٨]، وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها يهوى بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب**» (متفق عليه).

وهناك من الأقوال ما هو قول حق وهدى كالدعوة إلى الله، وتحكيم شرعه، والتزام أحكامه، وبيانها وتوضيحها للناس، وإظهار حججها، ونصح المسلمين ومحاسبة أمرائهم، وكشف الباطل وأهله و مؤامراتهم ودجلهم ودحض حججهم وبيان زيفهم، فهذا القول من أفضل الأعمال، ويجب الصدع به ومؤازرة ومساندة من يقولون به، ويحرم ذمه والتقليل من شأنه أو من شأن من يقولون به والاستهزاء بهم لصرف الناس عنه، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الأحزاب ٧٠]، وقال تعالى: ﴿ يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ﴿١٠٩﴾ ﴾ [طه ١٠٩]، وقال تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت ٣٣]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت ٣٠-٣٢]، وروي عن أبي بكر الصديق ﷺ أنه قال: «ثم استقاموا لم يشركوا بالله شيئا»، وروى عنه الأسود بن هلال أنه قال لأصحابه: «ما تقولون في هاتين الآيتين: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ ﴾ ﴿ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ ﴾ [الأنعام ٨٢] فقالوا: استقاموا فلم يذنبوا ولم يلبسوا إيمانهم بخطيئة، فقال أبو بكر: لقد حملتموها على غير المحمل، قالوا ربنا الله ثم استقاموا، فلم يلتفتوا إلى إله غيره، ولم يلبسوا إيمانهم بشرك، أولئك لهم الأمن وهم مهتدون» وروي عن عمر ﷺ أنه قال على المنبر وهو يخطب: «﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ ﴾، فقال: استقاموا والله على الطريقة لطاعته، ثم لم يروغوا روغان الثعالب» (تفسير القرطبي ج: ١٥ ص: ٣٥٨)، وقال

تعالى: ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ ﴾[الحج ٢٤] وروي أنه جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: أي الجهاد أفضل؟ قال: «**كلمة حق عند إمام جائر**» (إسناده صحيح الأحاديث المختارة ج: ٨ ص: ١١٠)، وعن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله**» (الحاكم)، وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالا يرفعه الله بها درجات**» (صحيح البخاري).

ثالثاً: إن من الإثم والمنكر تحميل آيات الله على غير محملها ورمي حملة الدعوة الإسلامية -الذين يقومون بأفضل الأعمال، كما بينها كتاب الله عز وجل وسنة رسوله الكريم ﷺ، بعملهم لاستئناف الحياة الإسلامية والنهوض بالأمة سائرين على طريقة رسول الله ﷺ- بأنهم ممقوتون لأنهم يقولون مالا يفعلون، فتفسير قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾[الصف ٢-٣] كما ورد في كتب التفسير: استفهام على جهة الإنكار والتوبيخ على أن يقول الإنسان عن نفسه من الخير مالا يفعله، أما في الماضي فيكون كذباً، وأما في المستقبل فيكون خلفاً، وكلاهما مذموم وتأول. ونقل عن سفيان بن عُيَيْنَة في قوله تعالى: ﴿ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ أي لم تقولون ما ليس الأمر فيه إليكم فلا تدرون هل تفعلون أو لا تفعلون، (تفسير القرطبي ج: ١٨ ص: ٨٠).

فلا تنطبق هذه ولا بأي وجه من الوجوه على من يقومون بالأعمال الفكرية ولا يقومون بالأعمال المادية تأسياً برسول الله ﷺ.

وبعد هذا البيان لا بد للمسلم أن يسير على طريقة الرسول ﷺ في عمله لإقامة الدولة الإسلامية، وأن يفكر في كل كلمة يقولها، ويقيسها بمقياس الشرع قبل أن يقولها، فإن كانت خيراً فليصدع بها ولا يخشَ في الله لومة لائم، وإن كانت شراً فليمسك عنها ولا يجرَّنّه إليها قائم. فعن عَلْقَمَةَ بن وَقَاصٍ قال: مر به رجل من أهل المدينة له شرف وهو جالس بسوق المدينة، فقال علقمة: يا فلان، إن لك حرمة، وإن لك حقاً، وإني قد رأيتك تدخل على هؤلاء الأمراء فتكلم عندهم، وإني سمعت بلال بن الحارث المزني صاحب رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أحدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن أحدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله له بها سخطه إلى يوم القيامة**»، قال علقمة: انظر، ويحك ماذا تقول وماذا تكلم به؟ فرب كلام قد منعني ما سمعته من بلال بن الحارث، (صحيح ابن حبان) ❑

مفهوم التسامح بين الإسلام والغرب (٢)

السيد أحمد إدريس المشهداني

إنّ الرأسمالية التي سادت العالم بأكمله، وملكت الدنيا واكتسحت بسطوتها الكون، فَعَنَتْ لها وجوه ونُكست رؤوس، هي حضارة مولعة بتزوير الحقائق، ومغرمة بإخفاء الوقائع، فلا يعنيها طلب الصدق، ولا يشغلها إحقاق الحقّ وإبطال الباطل بقدر ما يعنيها ويشغلها مقدار الدماء التي مُصّت، وكمية الثروات التي نُهبت، والمنفعة التي حصّلت.

كم يلذ للرأسماليين، ويَطيب لهم، مدح حضارتهم بكلّ صفة حميدة، ومكرمة نبيلة، وشَميلة محمودة، وخلّة حسنة. وكم يكره هؤلاء أنْ تنتقد ثقافتهم، وأنْ تردّ حضارتهم، وأنْ تجتنب طريقتهم في العيش. إنّه سلوك من تعالى وتكبّر، وصنيع من طغى وتجبّر.

إن حماة الحضارة الغربية يعيّرون الإسلام بالتعصّب وعدم قبول الآخرين، مع أن الحقيقة على النقيض مما يدّعون، وهو ما سنثبته في هذا المقام، ونسلط الضوء عليه ونجلّيه، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حيى عن بينة.

قبول من خالفك في الجنس

إنّ ما يسمّى بقضية المرأة، من القضايا التي يعتمدها الغرب في نشر حضارته، ونقض حضارة الآخرين، وعلى وجه الخصوص الحضارة الإسلامية. فالغرب يدّعي أنّه يحترم المرأة ويكرمها؛ فتبنّى فكرة تحريرها، ونادى بحقّها في الحياة والمجتمع، وطالب بمساواتها بالرجل. ولقد خفي عن الغرب أنّ الدعوة لتحرير المرأة اعتراف باستعباده لها، والدعوة لإعطائها حقوقها اعتراف بهضمه لحقوقها، والمطالبة بمساواتها بالرجل اعتراف بأنّها ناقصة عنده.

نعم، فحينما تبنّى الغرب مثل هذه الأفكار، فقد صرّح ضمنا بأنّه مقصّر في حقّ المرأة ومضيّع لحقوقها، وحينما تنصّ الدساتير الغربية على تمتّع الرجال والنّساء بحقوق متساوية فإنّها تفضح حقيقة وضع المرأة في المجتمعات الغربية؛ لأنّ تقنين المساواة في الحقوق مع تخصيص كلّ نوع بالذكر دليل على التفرقة بينهما. فلو كانت هناك مساواة حقيقية بين الرجل والمرأة في الغرب، لاكتفى المشرّع الغربي بقوله في الدستور

"جميع النّاس متساوون أمام القانون ويتمتّعون بحقوق متساوية"، لكن وجود نظرة الدّون إلى المرأة دفعت المشرّع الغربي إلى التنصيص على المساواة مع تخصيص النوعين بالذكر.

علاوة على هذا، فإنّ القول بالمساواة بين شيئين يعني التفرقة بينهما ابتداءً، أي النظر في الشيئين كشيئين منفصلين لا علاقة لأحدهما بالآخر، ثمّ الحكم عليهما بعد النظر المنفصل بتساويهما لوجود ما يجمع بينهما؛ لذلك فإنّ المساواة باعتبارها حكماً لاحقاً تشير إلى حكم سابق يفيد الفصل والتمييز بين شيئين. وهذا يدلّ على أنّ حكم الأصل عند الغربيين هو التمييز بين الرجل والمرأة.

ثمّ إنّ المساواة تقتضي سبق المثال الذي يقاس عليه؛ لذلك فمساواة المرأة بالرجل، تعني جعل الرجل المثال الذي يقاس عليه والأساس الذي يُنطلق منه، وهذا يعني بديهياً أنّ المشرّع الغربي قد راعى الرجل في التشريع ابتداءً ثمّ ألحق به المرأة؛ لذلك فإنّ أصل التشريع الغربي منصبّ على الرجل، وليس منصباً على الإنسان كإنسان هو الرجل والمرأة.

وقد يظنّ بعض النّاس أنّ الغرب حقّق ما يدّعيه من مساواة بين الرجل والمرأة، وأنّه ضمن للمرأة حقّها كلّه، غير أنّ هذا الظنّ ليس في محلّه، فلازال الغرب منشغلاً بالمسألة ذاتها التي مضى عليها عقود من الزمن. وها هو البرلمان الألماني -مثلاً- يعدّل في ٣٠ يونيو ١٩٩٤م المادة الثالثة من دستوره فينصّ على ما يلي: «تقوم الدولة بتشجيع ودعم التطبيق الفعلي للمساواة بين النساء والرجال، وتعمل على إزالة المساوي الموجودة». (مجلة ألمانيا **DEUTSCHLAND** العدد ٥ شهر ١٠ سنة ١٩٩٥ ص١٤).

وهذا التعديل الدستوري لا يدلّ على مجرّد اعتراف فقط بعدم تحقّق المساواة بين النساء والرجال، بل هو بمثابة التنصيص الدستوري على ذلك، فإذا نصّ الدستور في سنة ١٩٩٤م، على العمل على التطبيق الفعلي للمساواة، فإنّه ينصّ ضمناً على عدم وجودها ويؤرّخ لذلك.

والأصل في فكرة المساواة التي يتبنّاها الغرب، الوضع المشين الذي كانت عليه المرأة في المجتمع الغربي، ذلك أنّ المرأة كانت مهضومة الحقوق، معزولة عن حركة المجتمع، لا يُلتفت إليها ولا يُلقى لها بال، فلمّا طالبت بحقوقها، اتّخذت فكرة المساواة كطريق لتحقيق مطالبها، ونودي بالتسامح معها.

ونظرة الاحتقار إلى المرأة في الغرب ليست نصرانية فقط، تقوم على ادّعاء الكنيسة بأنّ المرأة كائن بين الإنسان والحيوان، بل هي نظرة الكثيرين من فلاسفة الغرب منذ قديم الزمن. ففي تصوّر أرسطو مثلا (ت٣٢٢ ق.م): «المرأة من الرجل كالعبد من السيد، وكالعمل اليدوي من العمل العقلي، وكالبربري من اليوناني. والمرأة رجل ناقص،

تركت واقفة على درجة دنيا من سلّم التطوّر...» (قصة الفلسفة، ول ديورانت ص٩٧).

وفي الأمثال الدارجة الأوروبية، وهي مما تفضح حقيقة نظرة الرجال إلى المرأة، فإنّ المرأة «ذات شعر طويل وعقل قصير». وبلغتهم كما هو دارج عندهم يقولون بالفرنسية: **Long cheveux, courte cervelle**.

وبالألمانية: **lange haare, kurzer verstand**.

وبالإنجليزية: **Women have long hair and short brains**.

ولازال هذا التصوّر سائداً في المجتمع الغربي، يبطنه الرجال ولا يفصحون عنه، ومع ذلك فإنّه يظهر في مظاهر متعدّدة، منها: أنّ أجر المرأة العاملة أقلّ بـ٣٠٪ من أجر الرجل العامل، وأنّ ٧٢ ٪ من العاملات تعرّضن لتحرّش جنسي أثناء عملهنّ، وأنّ حوالي ٧٠٪ من المتزوّجات تعرّضن للضرب من أزواجهن، وأنّ حوادث الاغتصاب تفوق العدّ، ففي أميركا مثلاً تغتصب امرأة ما بين كلّ ثلاث أو خمس دقائق.

وقد أخطأ الغرب حينما جعل المرأة مشكلة، وجعل طريق حلّها فكرة المساواة، ذلك أنّ المرأة نصف المجتمع -كما يقال- وصنو الرجل، فلا يتصوّر وجود مجتمع بدون نساء، ولا حياة بدون مشاركتهنّ، فكان من الخطأ أن ينظر إليهنّ نظرة مغايرة للرجال، ومن الخطأ أن يبحث في وجودهنّ وموقعهنّ في الحياة ودورهنّ في المجتمع كمشكلة خاصّة بهنّ.

فلقد خلق الله تعالى الإنسان امرأةً ورجلاً في فطرة معيّنة تمتاز عن الحيوان، فالمرأة إنسان، والرجل إنسان، ولا يختلف أحدهما عن الآخر في الإنسانية، ولا يمتاز أحدهما عن الآخر في شيء من هذه الإنسانية. وقد هيّأهما الله لخوض معترك الحياة بوصف الإنسانية، وجعلهما يعيشان حتما في مجتمع واحد، وجعل بقاء النوع متوقّفاً على اجتماعهما، وعلى وجودهما في كلّ مجتمع. فلا يجوز أن يُنظر لأحدهما إلاّ كما يُنظر للآخر، بأنّه إنسان يتمتّع بجميع خصائص الإنسان ومقوّمات حياته. فقد خلق الله في كلٍّ منهما طاقةً حيويةً، هي نفس الطاقة الحيوية التي خلقها في الآخر، فجعل في كلٍّ منهما الحاجات العضوية كالجوع والعطش وقضاء الحاجة، وجعل في كلّ منهما غريزة البقاء وغريزة النوع وغريزة التدّين، وهي نفس الحاجات العضوية والغرائز الموجودة في الآخر، وجعل في كلّ منهما قوّة التفكير، وهي نفس قوّة التفكير الموجودة في الآخر. فالعقل الموجود عند الرجل هو نفس العقل الموجود عند المرأة إذ خلقه الله عقلاً للإنسان، وليس عقلاً للرجل أو المرأة. قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ [الإسراء ٧٠].

وحين جاء الإسلام بالتكاليف الشرعية التي كلّف بها المرأة والرجل، وحين بيّن الأحكام الشرعية التي تعالج أفعال كلّ منهما، لم ينظر إلى مسألة المساواة أو

المفاضلة بينهما أية نظرة، ولم يراعها أية مراعاة. وإنما نظر أنّ هناك مشكلة معيّنة تحتاج إلى علاج، فعالجها باعتبارها مشكلة معيّنة بغضّ النظر عن كونها مشكلة لامرأة أو مشكلة لرجل. فالعلاج هو لفعل الإنسان أي للمشكلة الحادثة، وليست المعالجة للرجل أو المرأة؛ ولهذا لم تكن مسألة المساواة أو عدم المساواة بين الرجل والمرأة موضع بحث. وليست هذه الكلمة موجودة في التشريع الإسلامي، بل الموجود هو حكم شرعي لحادثة وقعت من إنسان معيّن، سواء أكان رجلاً أم امرأةً.

فالإسلام حين جعل للمرأة حقوقاً وجعل عليها واجبات، وجعل للرجل حقوقاً وجعل عليه واجبات، إنما جعلها حقوقاً وواجبات تتعلّق بمصالحهما، ومعالجات لأفعال باعتبارها فعلاً معيّناً لإنسان معيّن. فجعلها واحدة حين تقتضي طبيعتهما الإنسانية جعلها واحدة، وجعلها متنوعة حين تقتضي طبيعة كلّ منهما هذا التنوع.

ومن هنا نجد الإسلام لم يفرّق في دعوة الإنسان إلى الإيمان بين الرجل والمرأة. وجعل التكاليف المتعلّقة بالعبادات من صلاة وصوم وحج وزكاة واحدة من حيث التكليف، وجعل الأخلاق والاتصاف بها للرجال والنساء على السواء، وجعل أحكام المعاملات من بيع وإجارة ووكالة وغير ذلك واحدة للرجال والنساء، وأوجب التعلّم والتعليم بلا فرق بين الرجال والنساء. وهكذا شرّع الله الأحكام المتعلّقة بالإنسان كإنسان، وجعلها واحدة للرجال والنساء. قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل ٩٧].

وأمّا حين تكون هذه الحقوق والواجبات، وهذه التكاليف الشرعية تتعلق بطبيعة الأنثى بوصفها أنثى، أو تتعلّق بطبيعة الذكر بوصفه ذكراً، تكون هذه الحقوق والواجبات، أي هذه التكاليف، متنوعةً بين الرجل والمرأة؛ لأنها لا تكون علاجاً للإنسان مطلقاً، بل تكون علاجاً لهذا النوع من الإنسان الذي له نوع من الطبيعة الإنسانية مختلف عن الآخر، فكان لا بدّ أن يكون العلاج لهذا النوع من الإنسان، لا للإنسان مطلقاً. ولذلك، خصّ الإسلام المرأة بأحكام تتعلّق بأنثويتها، كأحكام الحيض والنفاس، وجعل لها حقّ الحضانة دون الرجل، وجعل العمل لكسب المال مباحاً لها، فرضاً على الرجل، ولم يوجب عليها القتال وأوجبه على الرجل.

قبول من خالفك في الفكر

إنّ الاختلاف بين البشر طبيعي، فلكلٍّ منهم عقيدته، ونظامه، ودينه، وطراز حياته، ونمط عيشه، ووجهة نظره، ومقياس أعماله، وأفكاره، السياسية منها والاقتصادية والاجتماعية، وغير ذلك. فمن الصعب، إن لم نقل من المستحيل، أن يجتمع البشر قاطبةً على رأي واحد وعقيدة واحدة ودين واحد. قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ

﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ [هود ١١٨-١١٩].

لذلك، فإنّ الإسلام يقرّ بوجود هذا الاختلاف بين البشر في عقائدهم وأفكارهم وأديانهم، ولا يرى إمكانية جمع الناس على فكر واحد. قال تعالى: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يوسف ١٠٣] وقال سبحانه: ﴿الٓمٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾ [الرعد].

هذا هو واقع البشر، وواقع اختلافهم في الفكر الذي لا يمكن نكرانه أو تحاشيه. والسؤال هو: ما هي الأحكام المترتّبة على هذا الواقع؟ وكيف يتعامل الإسلام معه؟ والجواب على هذا في النقاط التالية:

١ - إنّ الإسلام، وإن أقرّ اختلاف الفكر بين البشر، أي اعترف بوجوده باعتباره واقعاً قائم الذات لا يمكن نكرانه، لا يرضى به ولا يرضى عنه. فكلّ فكر غير فكر الإسلام وغير الفكر المبتنى على عقيدته والمنبثق عنها، يعتبر في نظر الإسلام باطلاً لا حقّ فيه. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ﴾ [آل عمران ١٩] وقال: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران ٨٥]. وقال سبحانه: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس ٣٢]. وقال الرسول ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» (رواه مسلم).

فالإسلام، وإن وافق على وجود الخلاف بين البشر، فإنّه لا يوافق على ما خالفوا فيه ولا يقبله. وبعبارة أخرى فإنّ الإسلام يقبل واقع اختلاف البشر في الفكر إلاّ أنّه لا يقبل الفكر الذي خالفه فيه إنسان ما، ولا يرضى عنه ولا يرضى له ذلك؛ وهذا أمر بديهي لأنّ الإنسان الذي قبل الإسلام وأسلم، قبله لأنّه الحقّ عنده، ورفض ما سواه من مبادىء وعقائد لأنّها باطل عنده. وبغضّ النظر هنا عن مسألة النسبية التي يُدندِن حولها الغرب، إذ إنّ الرأسمالي رأسمالي قطعاً أو نسبياً، فذاك لا يغيّر من واقع كونه رأسمالياً، ولا يغيّر من واقع كونه لا يقبل الإسلام لأنّه باطل عنده. وكلّ ما في الأمر أنّه يرى الرأسمالية نسبياً هي الحقّ، والإسلام نسبياً هو الباطل، وهذا يعني أنّ الرأسمالية عنده حقّ والإسلام باطل؛ لذلك آمن بالرأسمالية وكفر بالإسلام، والنتيجة أنّه لا يقبل فكر الإسلام.

وقد يقال هنا: صحيح أنّ الرأسمالي لا يقبل فكرك كمسلم، ولكنّه يرضى ذلك. والجواب هو، إن أريد بقولهم يرضى ذلك أي يرضى مخالفتي له في الفكر، فإنّ رضاه أو عدم رضاه لا يغيّر من واقع وجود المخالفة شيئاً. ثمّ إنّ المخالفة في الفكر مسألة طبيعية وواقع محتوم لا مناص منه. وكون الرأسمالي يرضى مخالفة المسلم له، أو المسلم يرضى مخالفة الرأسمالي له، مسألة ليس لها أيّ بعد عملي أو أثر في ممارسة كلّ منهما لما تبناه

من فكر.

أمّا إن أريد بقولهم يرضى ذلك أي يرضى لي الفكر الذي خالفته فيه، فإنّ هذا هو الأنانية بعينها والخداع بذاته. فكيف يرضى لي ما لم يرضه لنفسه. أيرضى لنفسه الرأسمالية ويرضى لي الإسلام؟ أيرضى لنفسه الحقّ ويرضى لي الباطل؟ أنّى يكون هذا؟ لقد علّمنا الإسلام، نحن المسلمين، أن نرضى لغيرنا ما نرضاه لأنفسنا من خير، وأن لا نرضى لغيرنا ما لا نرضاه لأنفسنا من شرّ. فسبحان الله ما أبعد البون وأوسع الخرق، وما أُمامَةُ من هِنْد.

وقد يقال أيضاً: ولكنّ الرأسمالي يقبلك كإنسان له فكره المتميّز عنه المخالف لما عنده. والجواب هو، إن صحّ هذا، فلا إشكال فيه.

٢ - إنّ الإسلام، وإن أقرّ اختلاف الفكر بين البشر، فهو من منطلق الرحمة بهم، وإرادة الخير لهم، شرّع وجوب دعوتهم إلى الإيمان به، عقيدةً ونظاماً، وترك ما يعبدون ويعتقدون، ورتّب على ذلك فضلاً كبيراً، وأجراً عظيماً. قال نبي الرّحمة ﷺ: «**فَوَاللّه لأَنْ يَهْدِيَ اللّهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النّعَمِ**» (متفق عليه).

وأخرج البخاري في صحيحه حادثة تبيّن أنّ المقصد من الدعوة الخير للبشر، والرحمة بهم. عن أنس رضي الله عنه قال: «كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: (**أسلم**). فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له: أطع أبا القاسم، فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: **الحمد لله الذي أنقذه من النار**» وفي رواية عند محمد بن الحسن في "كتاب الآثار" قال الرسول ﷺ: «**الحمد للّه الذي أعتق بي نسمة من النار**».

وقد أراد الإسلام أن يكون دخول غير المسلمين فيه عن قناعة ورضا تامين بأنّه الحقّ المنزّل من ربّ العباد جلّ جلاله. قال الله سبحانه: ﴿ **لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾** ﴾ [البقرة ٢٥٦]. وقال: ﴿ **وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾** ﴾[يونس ٩٩].

لذلك، فإنّ الإسلام لا يُجوّز إكراه من كفر به على الدخول فيه، سواء أكان الإكراه على ذلك مادياً أم معنوياً.

وقد حدّد الإسلام أسلوب دعوة الناس إلى الدخول فيه بالدليل القاطع والبرهان الساطع، والكلام البليغ المؤثّر في النفوس بتلطّف ولين دون مخاشنة وتعنيف. قال الله تعالى: ﴿ **ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾** ﴾[النحل].

ومن أروع الأحكام التي شرعها الإسلام مصداقاً لرحمته وإرادته الخير بالبشرية كلّها، حكم "جوار العلم". قال تعالى: ﴿ **وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ**

يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾[التوبة ٦].

فإذا أراد أحد الناس، من غير المؤمنين بالإسلام، أن يتعرّف على الإسلام، فيسمع القرآن والسنّة، وتفسيرهما وشرحهما، وعلومهما وقواعد فهمهما، ويرى التطبيق العملي لذلك في الدولة والمجتمع، فإنّه يدخل في جوار الله ورسوله، وفي ذمة المسلمين وأمانهم حتّى يتمّ له المراد. فإن آمن بعدها وأسلم فحسن، وإن أبى الإيمان والدخول في الإسلام ردّ إلى مأمنه سالماً. فلله ما أروع هذا التشريع وأرقاه!

ومن هذا المنطلق فإنّ دولة الخلافة القادمة -بإذن الله تعالى- ستجير من شاء العلم بالإسلام وتعطيه الأمان؛ وذلك لأنّ الإسلام حريص على إنقاذ البشرية من الجهل الذي تتخبّط فيه، والظلم الذي تعانيه، فهو يريد إخراج الناس من ظلمات الكفر والإلحاد إلى نور الإيمان والإسلام. قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٦﴾[المائدة ١٥-١٦].

٣ - بناءً على قبول الإسلام واقع الاختلاف في الفكر بين البشر، وعدم إكراههم على التخلّي عن عقيدتهم ودينهم، فإنّ الإسلام يقبل مطلب الآخرين ممن هم على غير عقيدته ودينه بالعيش في مجتمعه ودولته، وبين المسلمين في حمايتهم ورعايتهم، فلهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين.

وقد قبل الإسلام أن يعيش الآخر بين المسلمين دون أن يتخلّى عن دينه، ودون أن يلزمه بذلك أو يشترط عليه ذلك، فهو بذلك يحافظ له على خصوصيته، ويصون له كينونته المتميّزة، أي يضمن له بقاءه آخرَ كما شاء لنفسه ذاك. جاء في ميثاق المدينة: «... وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين [يريد ﷺ أنهم بالصُّلْح الذي وقع بينهم وبين المؤمنين كجماعة منهم كلمَتُهم وأيديهم واحدة]، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم، إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يُوتِغُ إلا نفسه وأهل بيته...» (سيرة ابن هشام).

إنّ البشرية لم تعرف أعظم من المسلمين سماحة، يوفون بالعهد، ويصونون الأمان، ويحفظون الجوار، ويحسنون لمن اختار العيش بينهم. وها هي شهادة ليدي لوسي دف جوردون (**Lady Lucie Duff-Gordon**) وهي امرأة جاءت إلى مصر للاستشفاء وعاشت فيها وبخاصة في الصعيد لمدة سبع سنوات، ما بين نوفمبر ١٨٦٢م ويوليو ١٨٦٩م . وكانت ترسل رسائلها بانتظام إلى زوجها، ثم نُشرت رسائلها هذه منذ سنوات قليلة تحت عنوان (**Letters from egypt**) كتبت تقول في رسالة إلى أمّها بتاريخ ٣ ديسمبر ١٨٦٢م: «إنّ الشيء الذي يسترعي الانتباه أكثر من غيره هنا هو روح

التسامح التي ألمسها في كل مكان. فالناس هنا يكتفون بأن يقولوا لي: إن هذه إذن هي عوائدكم. ثم لا يعطون الأمر بعد ذلك أية أهمية، كما أن المسلمين والمسيحيين يرتبطون حقاً بروابط الصداقة... لازلت أنتظر أن أرى ذلك التعصب الذي يتكلم (الأجانب) عنه كثيراً، ولكنني لم أر حتى الآن أي علامة من علاماته...».

ويقول برنارد لويس: «... فهذه المشكلة لم تنشأ في البلاد الإسلامية؛ لأن الناس المنتسبين لأديان مختلفة في البلاد الإسلامية وجدوا إمكانية العيش هناك بصداقة وأخوّة وبدون صراع ونزاع...».

قبول من خالفك في الحالة الاجتماعية

الطبقية هي تنظيم اجتماعي يقوم على انقسام الناس إلى طبقات. والطبقة هي مجموع الأشخاص الذين تجمع بينهم صفة معيّنة، كطبقة الأغنياء وطبقة العمال.

والطبقية موجودة في المجتمعات الغربية، فذوو الجاه والنفوذ والمال يمثلون طبقة مختلفة عن عامة الناس، قد يطلق عليها "البرجوازية" أو "المجتمع الراقي (**High society**)".

ولهذه الطبقة "الراقية" في المجتمع الغربي عاداتها وتقاليدها وأخلاقها التي تميزها عن بقية الناس في المجتمع. فهم يأكلون ويمشون ويضحكون ويلبسون ويعيشون بصفة عامّة ضمن آداب معيّنة خاصّة فيهم، يسمونها بالإتيكيت (**etiquette**) لا يشاركهم فيها الآخر.

ووجود الطبقية في المجتمع الغربي مسألة حتمية ناشئة عن وجود النظام الرأسمالي الذي يكدّس الثروة في يد قلّة من الناس، وما يتبع ذلك من تحالف مع السياسة والنفوذ. يقول ف. ويليام إنغدال في كتابه (قرن من الحروب): «قبل أن يخرج كارل ماركس بنظريته عن صراع الطبقات، فإنّ الليبرالية البريطانية قد تطوّرت لفكرة المدينة المنقسمة بين ما سُمِيَ (الطبقات العليا والطبقات السفلى)... ولقد قام والتر ليبمان بتعريف هذا الانقسام بطريقة حديثة تناسب قرّاءه الأمريكيين. فلقد قسّم المجتمع إلى أكثرية هي جمهور غبي، تقوده (الطبقة الخاصّة) من النخبة وهم كما وصفهم ليبمان، الرجال ذوو المسؤولية، وهؤلاء هم الذين يقررون المصلحة العامة للجميع، وتصبح هذه النخبة هي البيروقراطية المخلصة، والتي تخدم مصالح أصحاب المصالح والثروة الخاصّة. لكن هذه الحقيقة من العلاقة بينهما يجب أن لا تذاع للجمهور الغبي؛ لأنهم سوف لن يتفهموا الأمر. وعلى هذا الجمهور أن يتوهم بأنه يمارس قوته الديمقراطية، وعلى النخبة أن يكونوا هم صنّاع هذا الوهم». (نقلاً عن إمبراطورية الشرّ الجديدة، عبد الحي زلوم ص٢١٠).

والإسلام لا يقرّ الطبقية من أي نوع كانت، ولا يعترف بها، ويحارب وجودها في المجتمع. فالناس كلّهم سواسية لا فضل لأحدهم على الآخر إلاّ بالتقوى؛ لذلك لا يوجد

في الإسلام أخلاق "الطبقة الراقية" وأخلاق "العامّة"، ولا يوجد التفريق والتمييز بين الغني والفقير، وبين الحاكم "الأمير" والناطور "الغفير"، فكلّهم عند الله عزّ وجلّ، وأمام القانون سواسية، عن عائشةَ رضي الله عنها أنّ قُرَيْشاً أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمخزُوميّة التي سَرَقَت. فَقالُوا مَنْ يُكَلّمُ فيهَا رسولَ الله ﷺ فقَالُوا مَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْه إلاّ أسَامَةُ بنُ زَيْد حبّ رسولِ الله ﷺ فكلّمَهُ أُسَامَةُ. فقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَتَشْفَعُ فِي حَد مِنْ حُدودِ الله؟** ثُمّ قَامَ فَاخْتَطَبَ فَقال: **إنّمَا أَهْلَكَ الّذينَ مِنْ قَبْلِكُمْ أَنّهُمْ كَانُوا إذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشّرِيفُ تَرَكُوهُ. وإذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْه الحَدّ. وأيْمُ الله لَوْ أنّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا**» (الترمذي).

وروي عن أنس أن رجلاً من أهل مصر أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين! عائذ بك من الظلم، قال: عذت معاذاً؟ قال: سابقت ابن عمرو بن العاص فسبقته، فجعل يضربني بالسوط ويقول: أنا ابن الأكرمين، فكتب عمر إلى عمرو يأمره بالقدوم ويقدم بابنه معه، فقدم، فقال عمر: أين المصري؟ خذ السوط فاضرب، فجعل يضربه بالسوط ويقول عمر: اضرب ابن الأكرمين. قال أنس، فضرب، فوالله لقد ضربه ونحن نحب ضربه، فما أقلع عنه حتى تمنينا أنه يرفع عنه، ثم قال عمر للمصري: ضع السوط على صلعة عمرو، فقال: يا أمير المؤمنين! إنما ابنه الذي ضربني وقد استقدت منه، فقال عمر لعمرو: مذ كم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟ قال: يا أمير المؤمنين! لم أعلم ولم يأتني.

ولقد علّم النبي ﷺ أصحابه المقياس الصحيح في الحكم على الناس، فبيّن لهم، وبيّن للمسلمين من بعدهم أنّ أساس التفاضل طاعة الله عزّ وجلّ وتقواه، وأنّ المرء يعدّ فاضلاً إذا كان عند الله تعالى كذلك. وأمّا المقاييس البشرية المبنية على النظر إلى الحالة الإجتماعية للشخص فلم يعتبرها الإسلام أساس التفاضل. عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: «قال لي رسول الله ﷺ: **يا أبا ذر انظر أرفع رجل في المسجد.** قال: فنظرت فإذا رجل عليه حلة. قال: قلت: هذا. قال: قال لي: **انظر أوضع رجل في المسجد.** قال: فنظرت فإذا رجل عليه أخلاق. قال: قلت: هذا. فقال رسول الله ﷺ: **لَهَذا عند الله أَخْيَرُ يوم القيامة من ملء الأرض من مثل هذا**» (رواه أحمد).

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنّ رَسُولَ اللّه ﷺ قال: «**رُبّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالأَبْوَابِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللّهِ لأَبَرّهُ**» (رواه مسلم).

وروي عَنْ أَبِي مَسْعُود قال: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ، فَكَلَّمَهُ، فَجَعَلَ تُرْعَدُ فَرَائِصُهُ، فَقَالَ لَهُ: «**هَوِّنْ عَلَيْكَ. فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ**» (رواه ابن ماجه) وهذا من تواضعه ﷺ ورحمته بالناس ورأفته بهم ❑

[يتبع]

مذكرات حاملة دعوة

أم فراس ــ فلسطين

هذه خواطر إيمانية أحست بها إحدى الأخوات، وكان إحساسها ينضح بالصدق والوعي والإخلاص... إن ما ذكرته هذه الأخت الكريمة يعتبر دعوةً لكل مسلمة لتنقل نفسها نقلةً نوعيةً، من مسلمة تعيش على الهامش إلى حاملة دعوة تعيش في قلب العالم، وتسعى لتكون في مقدمته مع من يعمل لقيادة المسلمين من أجل هداية البشرية وخلاصها.

لقد أحسست، منذ أن بدأت الدراسة في الحزب، أنني قد ولدت من جديد. بدأ الدم يسري في عروقي، والحياة تدب في أوصالي. نعم، كنت أتوق وأتعطش لشيء لا أعرف ما هو، أحسه ولا أستطيع أن ألمسه، لا أستطيع أن أضع إصبعي عليه. نعم، كنت مسلمة أصلي وأصوم، وأقرأ القرآن، وأصل الرحم، لكن داخلي يتوق لشيء ويبحث عن شيء يحس بالخواء من دونه. ما هو هذا الشيء؟

لا أدري بالضبط، أنعم الله علي بكل شيء: زوج، وبيت، وأولاد، ولكن ما الذي ينقصني؟ لماذا أنا لست سعيدة؟ أين الماء الزلال الذي يروي عطشي؟ أين من ينير لي دربي؟ أين من يأخذ بيدي، ويعرفني على حقيقة نفسي، وحقيقة الحياة، وغايتي في الحياة؟

أنظر حولي، النساء لا هم لهنّ سوى الغيبة والنميمة، وسوى أخبار الزوج والحمل والولد، وسوى أخبار الموضة والمكياج، وأخبار المسلسل الفلاني، والفيلم الفلاني، لا، لا، لا أريد أن أنخرط معهن، لا أريد مشاركتهن، متعتي ليست بهذه الأشياء، ولا بهذه الأمور، حتى وإن أحسست فيها بمتعة لدقائق، لساعات، لأيام، لكنني لست سعيدة، نعم لست سعيدة، بداخلي أشياء كبيرة، من يخرجها؟ بداخلي طاقات، من يكتشفها؟ لم نخلق لنلهو ونلعب، لم نخلق لنأكل ونشرب، لم نخلق لنمضي سويعات عمرنا بهذه الأمور حتى يأتينا الموت.

استمرت حياتي هكذا على هذه الوتيرة حتى كان ذلك اليوم الموعود، وتلك الليلة التي تناقشنا فيها، أنا وأخواتي، مع أخي (من الشباب) حول الإسلام، وما هو العمل الصحيح الذي يرضي الله؟ وأي الحركات الإسلامية هي الأصح؟ وعلمنا أن هناك نسوة، حاملات دعوة، يعملن للإسلام، ولإقامة حكم الله في الأرض، وأن العمل لا يقتصر

على الرجال؛ فطلبنا رفع أسمائنا، مع أنني كنت خائفة، وكنت مترددة، من أين أجد الوقت الكافي لمثل هذه الأمور؟ فأنا ربة بيت، وأنا أم، وأنا موظفة، ووقتي كله مليء بالمشاغل، ليلاً ونهاراً مشغولة. خاطبت نفسي قائلة : (لوقتها يفرجها الله) وتمنيت في داخلي أن لا يأتيني الرد سريعاً. وكأن الله استجاب لما في داخلي فلم يأتني الرد إلا بعد سنة تقريباً.

وبعد سنوات من الدراسة، وبعد أن أصبحت عضواً من أعضاء حزب التحرير، أندم على ما فات من عمري ولم يكن في حمل الدعوة، أتمنى لو أنني بدأت العمل منذ بداية شبابي. الحمد لله على نعمة الإسلام، الحمد لله على نعمة حمل الدعوة. إنها لسعادة لا يحس بها إلا حامل الدعوة. وقتي كله في طاعة الله. انقلبت حياتي رأساً على عقب، وتغيرت شخصيتي. فأنا التي كنت أستحي من نفسي، أنا التي كنت أخشى الناس، وأهتم لكلام الناس، وأعمل ما يرضي الناس، أنا اليوم لا أهتم إلا لما يرضي ربي، لا أعمل إلا بما في كتاب الله وسنة رسوله، حتى لو خالفني العالم كله... لقد تغير تفكيري، فبعد أن كنت أحس أنني مسؤولة فقط عن نفسي وزوجي وأولادي، أصبحت اليوم أحس أنني مسؤولة عن العالم أجمع، عن جيراني، عن أقربائي، عن أهل مدينتي، عن أهل فلسطين، عن المسلمين في كل مكان، لا بل عن الكفار أيضاً، أحس أنني سأسأل عنهم لِمَ لم نوصل الإسلام إليهم؟ لمَ ماتوا على كفرهم؟ بعد أن كنت لا أجد وقتاً لمشاغلي الدنيوية، أصبحت أجد وقتاً للدراسة، ووقتاً للتدريس، ووقتاً للكسب، ووقتاً للمسجد، ووقتاً لحمل الدعوة على الإنترنت. آهٍ ما أجملها من حياة، آهٍ ما أجمله من شعور، ما أكبرها من سعادة. إنني أتألم بداخلي على حال المسلمين، أبكي على أحكام الله غير المطبقة، لكنني سعيدة؛ لأنني أخذت عقيدتي عن عقل، آمنت بربي وبرسولي وبكتابي عن عقيدة جازمة قاطعة، عقيدة لا تهتز، ولا يراودها أدنى شك.

التقيت بأخوات لي من أروع ما يمكن، كل تفكيرهن مرضاة الله، ومعظم وقتهن لحمل الدعوة، يبذلن الغالي والرخيص في سبيل الدعوة، يتفانين في سبيل ذلك، ويتحدين كل الصعاب التي تواجههن من زوج وأهل وولد، يتنازلن عن كل حقوقهن مقابل أن يستمررن في حمل الدعوة، يُسيِّرن أعمالهن حسب الأولويات التي حددها لهن الشرع، إنهن يذكرنني بالصحابيات الجليلات، بحاملات الدعوة الأوائل، سمية ونسيبة وأم منيع، (اللواتي كنت أقرأ عنهن، وكنت معجبة بهن، ولم يخطر ببالي يوماً أن بإمكاني أن أكون مثلهن، بل وأعظم أجراً منهن بفضل الله تعالى كما أرجو، من غير أن أفضل عن أقلهن لصحبتهن الرسول ﷺ).

بعض هؤلاء الأخوات أكملن تعليمهن الجامعي، وبعضهن تركن المدرسة منذ المرحلة الأساسية، وبعضهن أميات، ولكنهن يحاولن أن يرتقين بأنفسهن باستمرار. إنهن ينكببن على تعلم كل ما ينفع الدعوة من لغة، وفكر، وفقه، وتجويد، وحفظ لكتاب الله، بل وحتى تعلم استخدام الحاسوب من أجل الدعوة.

آهٍ ما أروعهن من أخوات، بعضهن في مقتبل العمر، وبعضهن كبيرات السن، لكننا جميعاً لنا نفس الفكر، ونفس الشعور، ونفس الغاية، ونفس الهدف، لا تربطنا المصلحة ولا المنفعة، لا رابطة إلا العقيدة الإسلامية، ولا أخوة إلا الأخوة الإسلامية.

بعضهن أصبحن يدرّسن النساء، بعد أن كن لا يجرؤن من قبل على الحديث، وبعضهن يكتبن المقالات، وبعضهن يعطين محاضرات على الإنترنت، وبعضهن يتصلن بالإذاعة أو التلفاز ينافحن عن الإسلام، ويذدن عن أحكام الله. إنهن يتابعن نشرات الأخبار، والندوات الفكرية، والدروس الدينية، ويحللن ما يسمعن وما يشاهدن، أصبحن يعرفن الحرام والحلال، ويعرفن كيف تتحقق النهضة الصحيحة، وما هو العقل ومم يتكون، وما أنواع التفكير، وما أنواع القيادات، وما هي الخصخصة، وما هي العولمة، وما هو الفرق بين علم الاقتصاد والنظام الاقتصادي، وما الفرق بين الحضارة والمدنية، وما هو المبدأ، ولماذا الإسلام هو المبدأ الصحيح الوحيد.

أصبحن يدرسن حياة الرسول ﷺ للعمل لا للعلم، يدرسن الإسلام للتطبيق، فما أروعها من جامعة! وما أمتعها من ثقافة! ثقافة الإسلام الصحيح، الإسلام الذي ليس فيه فصل للدين عن الحياة، ولا فصل للسياسة عن الدين، دين متكامل يدخل كل صغيرة وكبيرة في حياتها، ويملأ عقولنا وقلوبنا. نعم، إنها نقلة نوعية للمرأة المسلمة، حيث أحست بكيانها، أحست بإنسانيتها، أحست بعظم الأمانة الملقاة على عاتقها، إنها أمانة العالم أجمع، أمانة الناس أجمعين. ارتقت بشخصيتها، إنها ليست مجرد شكل، ليست سلعة، إنها إنسان، عقل يفكر، وقيمته ليست بشكله وهندامه، إن قيمته بأفكاره ومفاهيمه.

أصبحت بدل أن تزين بيتها بالتحف والنثريات، أصبحت تهتم باقتناء الكتب، وبدل أن تقضي الساعات أمام التلفاز، أصبحت تقضي هذه الساعات وهي تتصفح الكتب الفكرية، وتبحث في بطون الكتب الفقهية، وتطالع كتب السيرة والحديث وحياة الصحابة، رضوان الله عليهم.

وبدل أن تنفق بعض أموالها على توافه الأشياء، أصبحت تنفقها في حمل الدعوة، أصبحت الدنيا في نظرها لا تساوي جناح

بعوضة، إنها دار ممر، إنها طريق للآخرة، فالحياة الحقيقية هي دار الآخرة، أما هذه الحياة فهي فانية.

إنها تربي أبناءها على الإسلام، وتدعوهم لحمل الدعوة، وتحثهم أن يكون همهم مرضاة الله، تهتم بأفكارهم ومفاهيمهم وسلوكهم، بعد أن كان كل اهتمامها ماذا يلبسون، وماذا يأكلون، وأين يذهبون للنزهة، وكيف يقضون أوقاتهم.

نساء أصبحن يعرفن كيف يمكن معالجة الفقر، ويعرفن ما هو الأصل في الأشياء وما هو الأصل في الأفعال، وما الفرق بين القاعدة الكلية والتعريف الشرعي، ومتى يكون الحديث مقبولاً ومتى يكون مردوداً، وما هو الحديث الصحيح وما هو الحديث الضعيف.

نساء يعرفن متى تجوز المعاهدات ومتى لا تجوز، وما هي السياسة الحربية، ومن هو رجل الدولة، وما هو الوسط السياسي.

نساء يصلحن لقيادة العالم. لكنهن يعلمن أنه لا يجوز لهنّ أن يكنّ في الحكم؛ لقوله ﷺ: «**لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة**»، فيرضين أن يكن في مجلس الأمة؛ ليحاسبن الخليفة إذا قصر أو ظلم، وليكنّ عوناً له في تطبيق أحكام الإسلام في الداخل، ونشر الإسلام في الخارج؛ ليعم النور العالم، وينطفئ الظلام، وتعلو راية العقاب خفاقةً فوق ربوع الأرض قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝٨﴾[الصف ٨] ❑

(تتمة كلمة الوعي)

أيها المسلمون

هكذا يبدو جلياً أمام أعينكم كيف أن الكفار الغربيين يفتحون أبواب الشر على المسلمين باباً بعد باب... وإنه لن يقف أمام شرورهم إلا المشروع الإسلامي الكبير المتمثل بالخلافة الراشدة الثانية التي تجمع المسلمين على صعيد الإسلام النقي الخالص من العصبيات والمذهبيات، والتي ترد كيد الأعداء في نحورهم، والتي توقف هرج ومرج آخر الزمان، والتي تجعل خير الإسلام يعم البشرية كلها، وتجعل شر الرأسمالية الظالمة المتوحشة العاهرة ينحسر.

يا أيها الذين آمنوا تذكروا قول الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ۝٢٩﴾[الفتح]❑

الآثار الدنيوية للحكم بما أنزل الله (١)

الاستخلاف والتمكين

إذا أقام العباد دين الله في أنفسهم، وخلص لله تحاكمهم في سرهم وعلانيتهم، وملكوا الفهم الصحيح لكيفية فهم الدين ونشره وطريقة إقامته، واستقامت دعوتهم على هذا الفهم الصحيح، وصبروا على ما لاقوا في سبيل ذلك من تكذيب وتشريد وتعذيب... فإن الله سبحانه يقويهم ويشد أزرهم حتى يستخلفهم في الأرض، فإذا استخلفهم طالبهم بتصديق الأعمال للنوايا، وأمرهم أن يقيموا الشريعة في الأرض بالقسط والعدل، فإذا فعلوا ذلك مكّن لهم الملك ووطأ لهم السلطان. وفي القرآن مصداق هذه السنّة الإلهية في قصص شتى.

فبعد أن أخزى الله سبحانه وتعالى فرعون بإبطال السحر ودعوى الشرك تآمر مع الملأ من قومه وتوعد موسى ومن معه من المؤمنين بالويل والثبور... قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [الأعراف ١٢٧] فاشتد الأمر على بني إسرائيل وخافوا بطش ذلك الجبار العنيد.. وهنا يحرص موسى عليه السلام على أن يظهر لقومه هذه السنّة الماضية فيقول لهم: ﴿ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [الأعراف] وكذلك ينبههم إلى سنة الاستخلاف فيقول لهم بحسب ما جاء في القرآن الكريم: ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [الأعراف ١٢٩] فبين لهم أن المرجو من ربهم على حسب سنته أن يهلك عدوهم الذي سخرهم وآذاهم بظلمه ويجعلهم خلفاء في الأرض، كما وعد، وينظر سبحانه كيف سيعملون بعد استخلافه إياهم فيها، هل يشكرون النعمة أم يكفرون؟ وهل يصلحون في الأرض أم يفسدون، ليجازيهم في الدنيا والآخرة بما يعملون.

وقد نجح بنو إسرائيل -حيناً من الدهر- في هذا، فأنجز الله لهم ما وعد كما قال سبحانه: ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا

ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ [الأعراف ١٣٨] ومن وراثة الأرض والاستخالف فيها منّ الله تعالى عليهم بالتمكين إنفاذاً لمشيئته سبحانه حيث قال: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [القصص ٥-٦] وهكذا سُلب فرعون وهامان وجنودهما الأرض والملك بسبب الاعتداء على حق الله، بينما ورث المستضعفون أرض مصر والشام بعدها لما كانوا أئمة يقتدى بهم في الخير، وكان عليهم بعد ذلك أن يقوموا بحق الاستخلاف. فكما أن للاستخلاف ثمرة، فإن له تبعة، وذلك مصداق ما قاله تعالى لعبده ورسوله داود: ﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾[ص ٢٦].

ولقد خاطب الله المؤمنين من هذه الأمة واعداً إياهم بما وعد به المؤمنين قبلهم، فقال سبحانه في سورة النور: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي بدلاً عن الكفار ﴿ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ من بني إسرائيل. فإذا حقق المسلمون الإيمان وتحاكموا إلى شريعة الرحمن، فستأتيهم ثمرة ذلك وأثره ﴿ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ ﴾ فهي مقدمات ونتائج، أعمال وآثار، فتحقيق التحاكم إلى الدين يتحقق به الاستخلاف، وتحقيق الحكم به يوصل إلى التمكين، فإذا لم يكن هذا ولا ذاك، فهنا يكون الظلم الذي يهلك الله به المجرمين، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰكُمْ خَلَـٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [يونس ١٣-١٤] أي جعلناكم خلائف في الأرض بعد أولئك الأقوام كلهم، بما آتيناكم في هذا الدين من أسباب الملك والحكم وقدرناه لكم باتباعه ﴿ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ أي لنرى أي عمل تعملون في خلافتكم فنجازيكم بمقتضى سنتنا فيمن قبلكم، فإن هذه الخلافة إنما جعلها الله لكم لإقامة الحق والعدل في الأرض، وتطهيرها من رجس الشرك والفسق، لا لمجرد التمتع بلذة الملك. فلا ينبغي لأمة استخلفها الله على الأرض، إلا أن تقيم دين الله على هذه الأرض ❑

هذا ربيع المولد

أيمن القادري

هـــــذا ربيـــــعُ المَوْلِـــــدِ ... فـــــاذكُرْ نبيَّـــــك واسْـــــعَدِ
هـــل في مـــدى التّـــاريخِ مـــن ... رجـــلٍ مثيـــلِ السُّـــؤدَدِ؟
هـــل تبـــدعُ الأيّـــامُ مِثْلَـــكَ ... ـــ في القـــــديمِ وفي الغـــــدِ؟
أنـّـــى لهـــا، و"المصـــطفى" ... صَـــفْوُ الوجـــودِ السَّـــرْمدِ؟
يـــا مُرسَـــلاً بالهـــدْيِ، تتلـــوه ... ـــ بصـــــوتٍ أَحْمَـــــدِ
يـــا واحـــةَ الصّـــحراءِ يـــا ... ينبـــوعَ خـــيرٍ أَمْجَـــدِ
كيـــف اقتلَعْـــتَ الأرض، ... ـــ كيـــف رفعْتَهـــا للفَرْقـــدِ؟
كيـــف انتشـــلْتَ القـــومَ مِـــنْ ... وحْـــلٍ قمـــيءٍ أسْـــوَدِ؟
كيـــف اجتثثْـــتَ الكُفْـــرَ في ... عقـــلٍ، هنـــاك، مُقَيَّـــدِ؟
كيفَ اقتلَعْـــتَ الـــلاّتَ والعُـــزّى ... ـــ وكُـــلَّ مُجَسَّـــــدِ؟
وصـــرختَ فيهـــا: بعـــد ديـــنِ ... محمّـــدٍ، لـــن تـــُعْـــبَـــدي!
لا تســـألوه: كيـــف؟ فهـــو ... ســـرى بخـــير مؤيِّـــدِ

❁❁❁

يـــا وارفَ الـــذكرى ســـأذكر ... فِيْـــك خُلْـــقَ المرشِـــد
وسأســـلك الـــدّربَ الّـــتي ... ضـــاءتْ بنـــورِ المســـجدِ
فلْتَهْـــوِ أصـــنامُ "العروبـــةِ" ... ولْيُطَهَّـــرْ مَعْبَـــدي
لا يكمـــل "التوحيـــدُ" في ... ظِـــلّ الـــرّئيسِ المُفْسِـــدِ
فَخُـــذِ "الـــبراءَةَ" و"الـــولاءَ" ... ـــ وســـرْ مَســـيرةَ مُهْتَـــدِ
لا خَـــيْرَ يُنهِـــضُ أُمَّتـــي ... إلاّ بـــنَهْـــجِ مُحَمَّـــدِ ❑

كلمة أخيرة

شركة موانئ دبي نموذجاً

أثارت صفقة شركة موانئ دبي ضجة عاصفة داخل المجتمع الأميركي، وفي الكونغرس ديمقراطيين وجمهوريين، وفي وسائل الإعلام الأميركية. فالشركة تابعة للإمارات العربية أي أنها شركة تابعة لدولة عربية، أو دولة من العالم الثالث، أو دولة نامية، أو دولة متخلفة، أو دولة من دول العالم الإسلامي، وكل هذه الأوصاف مكروهة في قاموس أميركا حكاماً ومحكومين؛ لأن الناس هناك تربّوا على عنصرية بغيضة ضد كل من ينتمي إلى بلادنا، وضد سكانها وشركاتها حتى لو كانت الشركات محايدة، أو معاصرة، أو علمانية لا تُحكِّم الدين في تصرفاتها.

في أواخر شهر شباط من هذا العام ٢٠٠٦م، أقامت ولاية نيوجرزي دعوى قضائية ضد إدارة جورج بوش لمنع تنفيذ صفقة إدارة شركة موانئ دبي لموانئ أميركية، تحت ذريعة أن الصفقة تؤدي إلى مخاطر أمنية (أي أن دولة الإمارات أو شركاتها وكل من يشبهها) يُشك في مصداقيتها في مقياس العنصرية الأميركية، وأقيمت الدعوى في المحكمة الجزائية في ترنتون، وجاء في الدعوى أن الشركة مملوكة لدولة اعترفت بحركة طالبان كحركة شرعية.

ونشرت وزارة الخزانة الأميركية التسلسل التاريخي لبحث المخاطر المحتملة على الأمن بسبب صفقة إدارة الموانئ الأميركية الستة. وأيدت وكالات الاستخبارات الأميركية في تقرير لها سعي شركة (موانئ دبي) العالمية إلى شراء مجموعة (بي أند أو) البريطانية التي تتولى إدارة ٣٠ مرفأً في العالم بما فيها الموانئ الأميركية الستة.

وفي ٢/٢٧، تعهد مشرّعون في الكونغرس من الحزبين فتح تحقيق شامل في شأن العقد وانعكاساته الأمنية والاقتصادية، وبدأوا التلويح بمشروع قرار في هذا الشأن، ودعت مدينة نيويورك إلى تشديد القيود على عقود الموانئ الأميركية وسحب عقود من شركات أجنبية تتولى إدارة المنافذ البحرية.

وطالب نواب بارزون بصوغ قرار تشريعي يمنع (حكومات أجنبية) من إدارة الموانئ الأميركية. ومن المعروف أن شركة (بي أند أو) البريطانية كانت تدير هذه الموانئ ولم يعترض أحد، ولم يطالبوا بسن تشريعات تمنع (الحكومات الأجنبية) من إدارة الموانئ الأميركية. وهذا يؤكد أن غير العربي وغير المسلم لا يعتبر أجنبياً في قاموس ساسة أميركا بدليل أن الشركة البريطانية كان مرحباً بها من قبل، وحين اشترتها الإمارات أصبحت أجنبية ❑

دروس من أريحا

- أريحا أولاً: شعار طرحه المتفاوضون العرب في مدريد وأوسلو، فكانت أريحا أول بقعة تنسحب منها القوات العسكرية اليهودية، وتسلّمها للسلطة الفلسطينية أيام أبو عمار، وقيل في حينها إنها أصبحت تحت (السيادة) الفلسطينية، وقيل إنها (تحررت) أو إنها (أرض محررة) تماماً كما قيل عن غزة حينما سحبت (إسرائيل) قطعان مستوطنيها منها ودمرت المستعمرات، وفرح أهل غزة واحتفلوا بـ«استقلال غزة»، و«تحرير غزة». حصل ذلك من طرف واحد، ودون اتفاقات، ودون تواقيع، ودون شهادة الراعي الأكبر بوش وأممه المتحدة.
- أما أريحا فقد «تحررت» باتفاقيات، وتواقيع، واحتفالات دولية، مع شهود دوليين، وحضور الأمم المتحدة، وبوش، وبعض الملوك والرؤساء العرب، إلا أن كل هذه الوجوه، والشخصيات، والتوقيعات، والمفاوضات، والاستعراضات التلفزيونية، لم تحمِ سجيناً في أريحا من غزو الدبابات، وتحطيم الجرافات، وتجريد الشرطة الرسمية من ملابسها في شكل مذل أمام الكاميرات التي عرضت الصورة فضائياً، وشاهدها كل من تمكن من المشاهدة في الكرة الأرضية.
- قالوا إن الأميركان تواطأوا مع تابعهم البريطاني، لكن السؤال الذي يصمّ الآذان هو أين السلطة «الوطنية» الفلسطينية؟ وهل هي مجموعة من الكشافة، أم مجموعة سياحية، أم جمعية دفن موتى لكي تقف عاجزة تمام العجز لمدة يوم كامل والدبابات تقصف والجرافات تجرف، والجيش (الإسرائيلي) يطوق ويعتقل أبناء السلطة ويجردهم من شرفهم العسكري (ملابس وشعار وسلاح وغطاء رأس) ثم يشحنهم في شاحنات إلى المعتقلات بالجملة؟!
- إنها سلطة شهود الزور على احتلال ٨٨% من فلسطين التاريخية، مع ما يرافق الاحتلال من قضم للأراضي، واغتيالات، واجتياحات، وترويع للناس، وتجريف للمزارع، وتقطيع للأوصال، واعتقالات لآلاف الأسرى، والقنص بطائرات المروحية، وكأنها بذلك تقول لأهل فلسطين: ناموا ولا تستيقظوا ريثما تنتهي (إسرائيل) من ترتيب الأوضاع الفلسطينية، ولا تقاوموها حتى لا تُلغى السلطة الهزيلة.
- إن أفضل تعليق صدر بعد حادثة سجن أريحا هو مطالبة بعض الزعماء من فلسطين للسطلة بأن تحلّ نفسها، وقد يكون ذلك أهم ردّ على العدو لأنه يستعملها قفازات لجرائمه!! ❑